

الفصل الرابع

كتاب

معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار

المجلس الأول

معيار الاختيار ، في ذكر المعاهد والديار

المجلس الاول :

(97 : 1) بسم الله الرحمن الرحيم • صلى الله على سيدنا محمد •

الحمد لله الذى انفردت صفاته بالاستتمال على أشنتات الكمال ، والاستقلال بأعباء الجلال ، المنزه عن احتلال الحلال ، المتصفة الخلال بالاختلال ، المعتمد بالسؤال لصلة النوال ، جاعل الارض كسكانها متغايرة الاحوال ، باختلاف العروض والاطوال ، متصفة بالمحاسن والمقابح عند اعتبار الهيئات والاوزاع والصنائع والاعمال ، على التفصيل والاجمال . فمن قام خيره بشره دخل تحت خطة الاعتدال ، ومن قصر خيره عن شره ، كان أهلا للاستعاضة والاستبدال ، ومن أربى خيره على شره وجب اليه شد الرجال ، والتمس بقصده صلاح الحال . وكثيرا ما اغتبط الناس بأوطانهم فحصلوا فى الجبال على دعة الببال ، وفازوا فى الرمال بالآمال ، (97 : ب) حكمة (منه) فى اعتمار ربع الشمال ، وتقيس ، أكتافه عن اليمين والشمال ، الى أن يدعو أهل الارض لموقف العرض والسؤال ، ويذهل - عن الاهل - عظيم الاهوال . والصلاة على سيدنا (ومولانا) (1) محمد المصطفى الذى أنتقذ بدعوته الوارفة الظلال من ظلمات الضلال ، وجاء برفع الاغلال ، وتمييز الحرام من الحلال . والرضا عن له من الصحب والآل ، (موارد الصدق عند كذب الآل) (2) •

(1) زيادة فى « س ، ط »

(2) زيادة فى « س » .

أما بعد، ساعدك السعد، ولان لك الجعد (3)، فان الانسان — وان انصف بالاحسان ، وابانة اللسان ، لما كان بعضه لبعض فقيرا ، نبيها كان أو حقيرا . اذ مؤنه (4) التي تصلح بها حاله . لا يسعها انتحاله — لزم اجتماعه وائتلافه على سياسة يؤمن معها اختلافه ، واتخاذ مدينة يقتر بها قراره ، ويتوجه اليها ركونه وفراره ، اذا رابه أضراره . ويختزن بها أقواته التي بها حياته ، ويحاول منها معاشه الذي به انتعاشه . فان كان اتخاذها جزافا واتفاقا ، واجتراء ببعض المآرب وارتفاقا ، تجاول (5) شرها وخيرها ، وتعارض نفعها وضيرها ، وفضلها — (98 : أ) في الغالب — غيرها ، وان كان عن اختيار ، وتحكيم معيار ، وتأسيس حكيم ، وتفويض للعقل وتحكيم ، تتافر الى حكمها النفر ، وأعمل السفر ، وكانت مساوئها — بالنسبة الى محاسنها — تغتفر ، اذ وجود الكمال فاضح للأمال ، ولله در القائل :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء فخرا أن تعد معاييره
وبحسب ذلك :

حدث من يعنى بالاخبار ينقلها ، والحكم يصقلها ، والاسمار ينتقيها ، والآثار يخلدها ويبتقيها ، والمجالس يأخذ صدورها والآفاق يشيم (6) شموستها وبدورها ، والحلل يعرف دورها ، ويأكل قدورها ، والطرف يهديها ، والخفيات يبديها . وقد جرى ذكر تفضيل البلدان ، وذكر القاصي والدان ، ومزايا الاماكن ، وخصائص المنازل والمسكن ، والمقايح والمداسن ، والطيب والآسن (7) .

-
- (3) الجعد : في الاصل هو الشعر غير المنسق ، والسياق ينصرف الى اللئيم البخيل .
(4) في نسخة (س) « مؤنتة » بدل « مؤنه » .
(5) تجاول : يقال ، تجاول العموم في الحرب ، اى جال بعضهم على بعض .
(6) يشيم : يعلم ، يقصد انه ذو دراية بمطالع الشمس والتمر في هذه البلاد
(7) الآسن : من الماء المتغير الطعم واللون والرائحة .

قال : ضمنى الليل وقد سدل المسح راهبه ، وانتهب قرص الشمس من يد الامس ناهبه ، ودلفت جيوشه الحبشية (98 : ب) وكتائبه ، وفتحت الازهار بشط المجرة كواكبه ، وجنحت الطيور الى وكونها ، وانتشرت الطوافات بعد سكونها ، وعوت الذئاب فوق هضابها ، ولوحت البروق ببيض عضابها ، وباهت الكف الخضيب بخضابها ، وتسللت اللصوص لانتهاز فرصها ، وخرجت الليوث الى قسمها وحصصها ، فى مناخ رحب المنطلق ، وثيق الغلق ، سامى السور ، كفيل بحفظ الميسور ، يأمن - به الذعر - خائفه ، وتدفع - معرة السماء - سقائفه ، يشتمل على مأوى الطريد ، ومحراب المرید ، ومرابط خيل البريد (8) ، ومكاسع الشيطان المرید . ذى قيم كثير البشاشة ، لطيف الحشاشة ، قانع بالمشاشة . يروح ويشى ، ويقف على ريب الاعيان وأعيان الريب فلا يشى . بر فأكثر ، ومهد ووثر ، وأدفا ودثر ، (ورقى بسور استنزله فآثر) (9) .

فلما أزحت الكلفة ، وأقضمت جوادى العطفة ، وأعجبنتى - من رفقاء الرفق - الالفة ، رمقت فى بعض السقائف آمنة فى زى خائف ، وشيخا طاف منه بالارض طائف ، وسكن حتى اليمامة والطائف . جنيب (99 : أ) عكاز ، ومثير شيب أثيث الوفرة ، وقسى ضلوع توتر بالزفرة ، حكم له بياض الشيب بالهية ، وقد دار بذراعه للسبحة الرقطاء حنش ، كما اختلط روم وحبش . والى يمينه دلو فاهق (10) ، وعن يساره تلميذ مراهق ، وأمامه حمار ناهق ، وهو يقول :

هم أسكنونا فى ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفأت وأكنت
أبوا أن يملونا ، ولو أن أمنا تلاقى الذى يلقون منا لملت

(8) مكاسع : مطارد ، مكان الطرد .

(9) زيادة فى نسخة « س » .

10 ، فاهق : ممثلى .

حتى اذا اطمأن حلوله ، وأصبح ذلوله (11) ، وتردد الى قيم
الخان - زغلوله (12) ، واستكبر لما جاءه - بما يهواه - رسوله ، استجمع
قوته واحتشد ، ورفع عقيرته وأنشد :

أشكو الى الله ذهاب الشباب كم حسرة أوردنى واكتئاب
سد عن اللذات باب الصبا فزارت الاشجان من كل باب
وغربة طالت فما تنتهى موصولة اليوم بيوم الحساب
وشر نفس كلما هملجت (13) فى الغى لم تقبل خطام المتاب
يا رب شفح فى شيبى ولا تحرمنى الزلفى وحسن المآب

ثم أن ، والليل قد جن ، فلم يبق - فى القوم - الا من أشفق وحن ،
وقال - وقد هزته أريحية - (99 : ب) : على الدنيا سلام وتحية ، فقد
نلنا الاوطار ، وركبنا الاخطار ، وأبعدنا المطار ، واخترقنا الاقطار (14) ،
وحلبنا الاشطار (15) . فقال فتاه - وقد افترت عن الدر نسفناه ، مستثيرا
لشجونه ، ومطلعا لنجوم همه من دجونه ، ومدلا عليه بمجونه - : وماذا
بلغ الشيخ من أمدها ، ورفع من عمدها ، حتى يقضى منه عجب ، أو يجلى
منه محتجب ؟ فأخذته حمية الحفاظ لهذه الالفاظ ، وقال : أى بنى ،
مثلى من الاقطاب ، يخاطب بهذا الخطاب ! ! وأيم الله لقد عقدت الحلق
(ولبيست من الدهر الجديد والخلق) (16) ، وفككت العلق ، وأبعدت نسي
الصبوة الطلق ، وخضت المنون ، وصدت الضب والنون ، وحذقت الفنون ،

(11) ذلوله : دابته السهلة القيادة .

(12) زغلوله : غلامه الخفيف السريع .

(13) هملجت : الهملجة ، المشى فى سرعة .

(14) فى نسخة « س » وافترقنا ، ولعلها فى نسخنا أصوب .

(15) حلبنا الاشطار : يقصد جربنا خير الدهر وشره ، فعرفناهما .

(16) زيادة فى « ط ، س » .

وقهرت — بعد سليمان — الجنون ، وقضيت الديون ، ومرضت لمرض العيون . وركبت الهمالج (17) ، وتوسدت الودائل (18) والدمالج ، وركضت الفاره ، واقتحمت المهالك والمكاره ، وجبت البلاد ، وحضرت الجلاذ ، وأقمت الفصح والميلاد . فعدت من بلاد الهند والصين ، بالعقل الرصين ، وحذقت بدار قسطنطين (19) كتاب اللطين (20) ، ودست مدارس أصحاب الرواق (21) ، ورأيت غار الارواح وشجر الوقواق ،

- (17) الهمالج : الابل تمشى في سرعة .
(18) الودائل : ج وذيلة ، وهى الرشيقة من النساء .
(19) قسطنطين : ملك من ملوك الروم ، سميت حاضرة ملكه باسمه (القسطنطينية) وهى مدينة قديمة كانت مسورة بأسوار حصينة تبلغ المائة ، أحدها (باب الذهب) ، انظر ياقوت الحموى في معجم البلدان ج 15 ص 347 .
(20) كتاب اللطين : يعنى به « اللاتينية » .
(21) أصحاب الرواق : يقصد الرواقيين ، وهم فرقة من الفلاسفة القدماء ، ينسبون الى الرواق ، الذى كان يعلم زينون — Zenon الرواقيين Stoiciens تحته ، وقد نشأت هذه الفرقة في القرن الرابع قبل الميلاد ببلاد الاغريق ، تنقسم عندهم الفلسفة الى المنطق والطبيعة وعلم الاخلاق ، ولا يفصلون العناية الالهية عن القضاء ، كما انهم لا يميزون بين المادى والروحى ، وان الكون يسوده النظام ، ويسوسه المنطق ، وان على الانسان ان ينظم نفسه ، فيحتل مكانه فيه . وبهذا تحققت عندهم فكرة الوحدة الكونية ، في وقت لم يكن العلم الطبيعى عند الاغريق كثيرا ، ولكن كان حدسهم شديدا ، ونظراتهم الثاقبة كثيرا ما كانت تصيب .

أما عن زينون الرواقى فهو مؤلف هذا المذهب (تحو 340 — 265 ق م) فقد ولد في بلدة كتيوم Citium بجزيرة قبرص ، وجاء بعد الى اثينا ، وهو من اصل فينيقى ، وأكثر من وسعوا المذهب كانوا اسيويين أكثر منهم افارقة ، ويعتد المذهب آخر مجهود فلسفى في اليونان الوثنية .
هذا ، وممن آمن بوحدة الكون في العصور الوسطى كتاب الاديان الثلاثة ، فمن المسلمين ابن رشد (1126 — 1198 م) ، ومن المسيحيين كثيرون ، ومن اليهود القباليون Kabbalists ، ثم جاء عصر النهضة بأوربا فأحيا مبدءا الوحدة الكونية بين أهلها ، وانبرى عدة فلاسفة ينادون بها ، متأثرين بالفلسفة الافلاطونية ، وبما رسمه المذهب من آداب ، ومنهم شكسبير ، وشرلر ، وكنتن .
راجع : د. احمد زكى (مجلة العربى) عدد 134 يناير 1970 م .

وشريت حلل اليمن (100 : أ) ببخس الثمن (22) ، وحللت من عدن (23) حلول الروح من البدن ، ونظرت الى قرن الغزالة لما ثدن (24) ، وأزمنت عن العراقيين (25) ، سرى القين ، وشربت من ماء الرافدين باليدين ، وصليت بمحراب الدمى ركعتين ، وتركت الأثر للعين ، ووقفت حيث وقف الحكمان (26) ، وتقابل التركمان (27) وأخذت بالقدس ، عن الحبر الندس ، وركبت الولايا ، الى بلاد العلایا (28) ، بعد أن طفت بالبيت الشريف ، وحصلت بطيبة على الخصب والريف ، في فصل الخريف ، وقرأت بأخميم (29) علم التصريف ، وأسرعت في الانحطاط الى الفسطاط (30) ،

- (22) في نسخة مس « بابخس ثمن » وكلاهما بمعنى .
(23) عدن : عاصمة جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، تقع على ساحل البحر الاحمر جنوب غربى الجزيرة العربية ، لها شهرة تجارية واسعة بفضل موقعها .
انظر : معجم البلدان ، للحموى ، ج 13 ص 89 .
(24) في نسخة (س) « اذا » بدل « لما » ، ولعلها في نسختنا اصوب .
(25) العراقيين : البصرة والكوفة بالعراق ، مدينتان لهما اصلتهما العلمية ولاسيما في عصر الامويين والعباسيين .
(26) الحكمان : هما ابو موسى الاشعري ، وعمرو بن العاص ، لما احتكم اليهما على بن أبى طالب ، ومعاوية بن أبى سفيان ، عقب وقعة صفين (37 هـ — = 657 م) في أمر الخلافة ، وانتهت بتولى معاوية .
انظر « وقعة صفين في :
(ا) المسعودى في « مروج الذهب » ج 2 ص 20 — 22 .
(ب) الطبرى — في « تاريخ الامم والملوك » ج 6 ص 33 — 43 .
(27) التركمان : قبيلة اخضعها التتار ، تعرف منذ القرن الثانى عشر الميلادى ، وتعيش الآن في تركستان الغربى ، وايران ، وما وراء التفتقاس .
(28) العلایا : مدينة ساحلية بآسيا الصغرى ، أسسها علاء الدين كيقوباد عام 1220 م .
(29) أخميم : مدينة أثرية على شاطئ النيل الشرقى بمصر ، محافظتها « سوهاج »
انظر : معجم البلدان ج 1 ص 123 .
(30) الفسطاط — مدينة أنشأها الفاتح لمصر عمرو بن العاص عام (20 هـ = 640 م) مكانها « مصر القديمة » حاليا احدى ضواحي القاهرة .

والمصر الرحب الاختطاط ، وسكنت مدينة الاسكندرية (31) ثغر الرباط ،
وعجلت بالمرور الى التكرور (32) ، فبعث الظل بالحرور ووقفت بأشبانية
الى الهيكل المزور ، وحصلت بافريقية على الرغد غير المزور ، وانحدرت
الى المغرب ، انحدار الشمس الى المغرب ، وصممت تصميم الحسام الماضى
المضرب ، ورابطت بالاندلس ثغر الاسلام ، وأعلمت بها تحت ظل (33)
الاعلام .

فآها - والله - على عمر مضى ، وخلف مضى (100 : ب)
وزمن انقضى ، وشمل قضى الله من تفرقه ما قضى ، ثم أجهد ببيكائه ،
وأعلن باشتكائه ، وأنشد :

لبسنا فلم نبل الزمان وأبلانا يتابع آخرانا - على الغى - أولانا
ونعتر بالآمال ، والعمر ينقضى فما كان بالرجعى الى الله - أولانا
وماذا عسى أن ينظر الدهر ما عسى فما انقاد للزجر الحثيث ولا لانا
جزينا صنيع الله شر جزائه فلم نر عما - من سابق الفضل - أولانا
فيا رب عاملنا بما أنت أهله من العفو، واجبر صدعنا، أنت مولانا
ثم قال :

لقد مات اخوانى الصالحون فمالى صديق ولا لى عماد
إذا أقبل الصبح ولى السرور وان أقبل الليل ولى الرقاد

- (31) الاسكندرية : العاصمة التجارية لجمهورية مصر العربية ، وتقع على ساحل
البحر المتوسط ، بناها الاسكندر المقدونى .
انظر ياقوت الحموى فى « معجم البلدان » ج 2 ص 182 .
(32) تكرور : شعب من الزنج يسكن الجزء الاكبر من وهاد « فوطة » السنغالية ،
ويعرف باسم Foucouleur وفى نسخة (س) « تكرور » بدل « التكرور » .
(33) فى نسخة اخرى « ظلال » بدل « ظل » ، وكلاهما بمعنى .

فتملكتنى له رقة ، وهزة للتماسك مسترقة ، فهجمت على مضجعه
هجوماً أنكره ، وراع شأه وعكره (34) ، وغطى بفضل رده سكره ،
فقلت له : على رسلك أيها الشيخ ، ناب (35) حنت الى حوار (36) ،
وغريب أنس بجوار ، وحائر اهتدى بمنار ، ومقرور قصد الى ضوء نار ،
وطارق لا يفضح عيباً ، (ولا يثلم غيباً) ولا يهمل (37) شيباً ، ولا يمنح
(101 : أ) سيباً ، ومنتاب يكسو الحلة ، ويحسن الخلة ، ويفرغ الغلة ،
ويملأ القلة .

أجارتنا : أنا غريبان ها هنا وكل غريب - للغريب - نسيب
فلما وقم الهواجس وكتبها ، وتامل المخيلة واستثبتها ، تبسم لما
توسم ، وسمح بعد ما جمع ، فهاج عقيماً فتر ، ووصل ما بتر ، وأظهر ما
خبأ تحت ثوبه وستر ، وماج منه البحر الزاخر ، وأتى بما لا تستطيعه
الاولئ ولا الاواخر . وقال - وقد ركض الفنون وأجالها ، وعدد الحكم
ورجالها ، وفجر للاحاديث أنهارها ، وذكر البلدان وأخبارها - :

ولقد سئمت ما ربي فكان أطيها (38) خبيث
الا الحديث فانه مثل اسمه - ابدا - حديث
فلما ذهب الخجل والوجل ، وطال المروي والمرجل ، وتوسط
الواقع ، وتشوفت للنجوم المواقع ، وتوردت الخدود الفواقع ، قلت : أيها
الحبر ، واللج الذي لا يناله السبر ، لا حجبك - قبل عمر النهاية - القبر ،
- وأعقب كسر أعداد عمرك - المقابلة بالقبول والجبر ، كأننا بالليل قد
أظهر - لوشك الرحيل - (101 : ب) الهلع ، والغرب الجشع لنجومه

34) عكره : ابله .

35) ناب : الناب هي الناقة المسنة .

36) حوار : بفتح الحاء وضمها ، ولد الناقة .

37) يقصد : أنه لا يعيب أحداً في غيبته ، وقد وردت هذه الجملة في نسخة (س) .

38) في نسخة (س) « فكان » بدل « فكان » وهو ما لا يستقيم وزناً .

قد ابتلع ، ومفرق الاحباب — وهو الصبح — قد طلع ، فأولنى عارفة من معارفك أفتنتيها، وأهز زلى أفنان حكمتك أجتنيها، فقال : أمل ميسر ، ومجمل يحتاج أن يفسر ، فأوضح الملغز ، وابن لى الطلا (39) من البرغز (40) . وسل عما بدا لك ، فهو أجدى لك ، فأقسم لا تسألنى عن غامض ، وحلو وحامض ، الا أوسعته علما وبيانا ، وأريتك الحق عيانا .

قلت : صف لى البلاد وصفا لا يظلم مثقالا ، ولا يعمل — فى غير الصدق — وخدا ولا ارقالا (41) ، واذا قلتتم فاعدلوا (42) ، ومن أصدق من الله مقالا (43) فقال : سل ، ولا تسل ، ولو راعك الاسل . قلت : انفض لى البلاد الاندلسية من أطرافها ، وميز — بميزان الحق — بين اعتدالها وانحرافها ، ثم اتلها بالبلاد المرينية (44) نسقا ، واجل — بنور بيانك — غسقا :

(39) الطلا : ولد الظبى ساعة ولادته ، والجع « اطلاق » .

(40) البرغز : ولد البقرة ، ويقصد بالعبارة : اوضح فرضك وفصله .

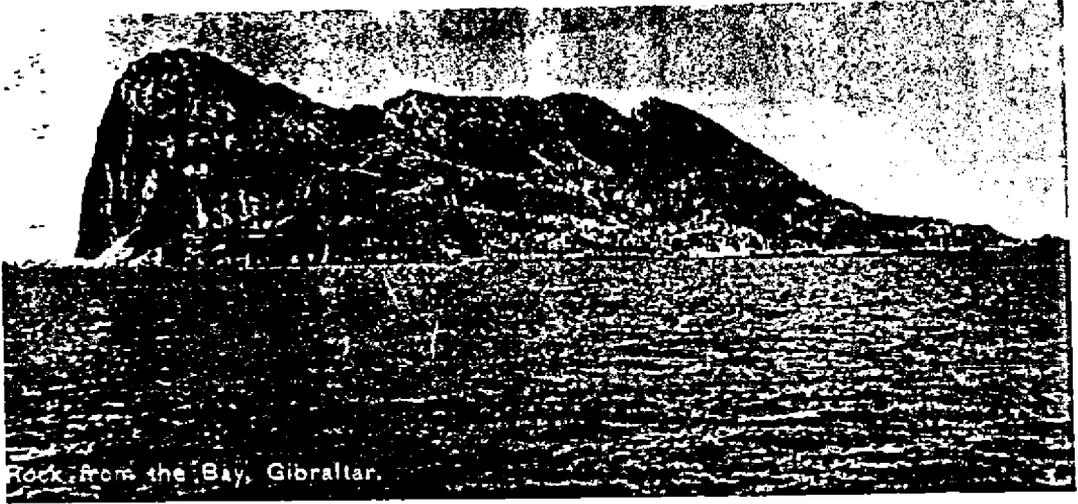
(41) الوخد والارقال : نوعان من السير السريع للابل .

(42) اقتباسا من قوله تعالى : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هى احسن حتى يبلغ أشده ، وأوموا الكيل والميزان بالتوسط ، لا تكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبمهد الله أوموا ، فلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » سورة الانعام ، آية : 152 .

(43) اقتباسا من قوله تعالى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات جنات تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبدا ، وعد الله حقا ، ومن أصدق من الله قولا » سورة النساء ، آية : 122 .

(44) البلاد المرينية : البلاد المغربية ، نسبة الى بنى مرين الذين حكموا هذه البلاد فى الفترة من 668 — 869 هـ (1269 — 1265 م) وكانت عاصمتهم فاس .

جبل طارق



« منظر جبل طارق من البحر »



« منظر رأس الصخرة »

وهات ما تقول في « جبل الفتح » (46) :

1 - « جبل الفتح »

قال : فاتحة الكتاب من مصحف ذلك الاقليم ، ولطيفة السميع العليم ،
وقصص المهارق (47) ، وأفق البارق ، ومتحف هذا الوطن المبين للارض
المفارق ، مأهل العقيق (48) وبارق (49) ، ومحط طارقتها ،
(102 : أ) بالفتح طارق . ارم البلاد (150) التي لم يخلق مثله فيها ،
وذو المناقب التي لا تحصرها الالسنة ولا توفيتها .

حجزه البحر ، حتى لم يبق الا خصر ، فلا يناله - من غير تلك
الفرصة - ضيق ولا حصر ، وأطل بأعلاه قصر ، وأظله فتح - من الله -
ونصر . ساوق (51) سوره البحر فأعياه ، قد تهلل بالكلس محياه ، واستقبل
الثغر الغريب فحياه . اطرده صنع الله فيه ، من عدو يكفيه ، ولطف يخفيه ،
وداء عضال يشفيه . فهو خلوة العباد ، ومقام العاكف والباد ، ومسلحة
من وراءه من العباد ، وشقة القلوب المسلمة والاكباد . هواؤه صحيح ،
وثره - بالخزين - شحيح ، وتجر الرباط فيه ربيع ، وحماء - للمال

(46) جبل الفتح : هو جبل طارق « Gibraltar » نسبة الى فاتح اسبانيا (طارق
بن زياد) ، وكان يسمى قبل الفتح « Calpe » بمعنى « تجويف » يتبع بريطانيا
حاليا ، وتنازعها اسبانيا في الاحقية ، وهذا خلاف قديم .
راجع : José Carlos de luna-Historia de Gibraltar

(47) المهارق : جمع مهرق ، وهي الصحيفة .

(48) العقيق : العقيق تقوله العرب لكل مسيل ماء شقه السيل في الارض فانهره
ووسعه ، وفي بلاد العرب اربعة اعقة .

راجع : ياتوت الحموى - معجم البلدان - ج 14 ص 138 ، ص 139 .

(49) بارق ، ركن من اركان اليمامة ، وهو جبل ، كما يطلق ايضا على ماء بالعراق ،
وهو الفاصل بين القادسية والبصرة من أعمال الكوفة ، وقد عناه المتنبي بقوله:
تفكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجر السوابق

راجع : ياتوت الحموى - معجم البلدان - ج 2 ص 319 - 320 .

(50) ارم : الارم ، ما يهتدى به من حجارة تنصب في الممازة ، وجمعه آرام وأروم ،
والمعنى : علم البلاد .

(51) ساوق : فاخر .

والحریم - غیر مبیح ، ووصفه الحسن لا یثان بتقییح . الا انه - والله یقیه مما یتقیه - بعید الاقطار ، ممار بالقطار (52) ، کثیر الریاح والامطار . مکتنف بالرمل المخلف ، والجوار المتلف . قلیل المرافق ، معدوم المشاكل والمرافق . هزل الكراع (لعدم الازدراع ، حاسر الذراع ، للقراع) (54) ، مرتزق من ظل الشراع . کورة دبر ، (55) ومعتکف أزل وصبر ، وساکنه حی فی قبر (102 : ب) .

هو الباب ان كان التزاور واللقيا وغوث وغيث للصريخ وللسقيا فان تطرق الايام فيه بحادث وأعزز بهقلنا : السلام على الدنيا

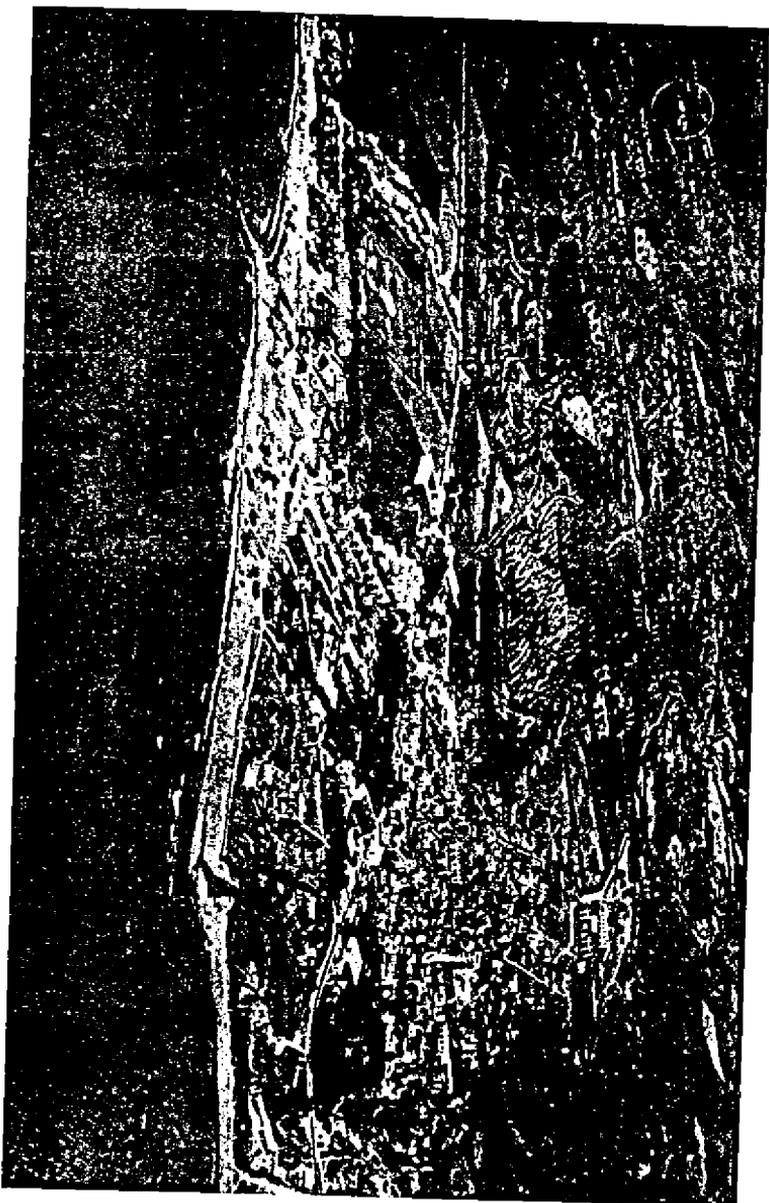
2 - « اسطبوننة » (56)

قلت : فاسطبوننة ؟

قال : ذهب رسمها ، وبقي اسمها ، وكانت مظنة النعم الغزيرة ، قبل حادث الجزيرة (57) .

- (52) التطار : السحاب الغزير التطر .
(53) المرافق : اراد بالمرافق الاولى المنافع ، وبالثانية الابار .
(54) لعدم الازدراع : لعدم المرعى ، وما بين القوسين زيادة وجدناها في نسختي (س ، ر) .
(55) كورة دبر : منزل النحل والزناير ، وقد وردت في نسختي (ر ، د) « حبر » .
(56) اسطبوننة : بلدة تقع غرب مالقة ، على شاطئ البحر المتوسط ، وتعرف في الاسبانية باسم « Estepana »
(57) يقصد بحادث الجزيرة موقعه طريف ، وهي بالاسبانية « Batalla del Salado » حدثت بين النصرارى من جهة وبين المغاربة والاندلسيين من جهة اخرى ، وتمخضت عن هزيمة المسلمين ، وسقوط كل من طريف والجزيرة الخضراء (10/30 / 1340 م = جمادى الاولى 741 هـ) .
راجع : ابن خلدون في « العبر » ج 7 ص 261 ، 262 ، والمقرى في « نفع الطيب » ج ص 317 ، 318 ، وابن الخطيب في اللحة البدرية ص 92 ، 93 ، والسلاوى في « الاستقصاء » ج 2 ص 65 ، 66 ، ودكتور لويس سيكودى لوثينا « في مجلة الاندلس - ملحق 1949 م .

مريئة (غزاةطة)



مروة من الجبو المبيضة الساحلية

3 - « مربية » (58)

قلت : فمربية ؟

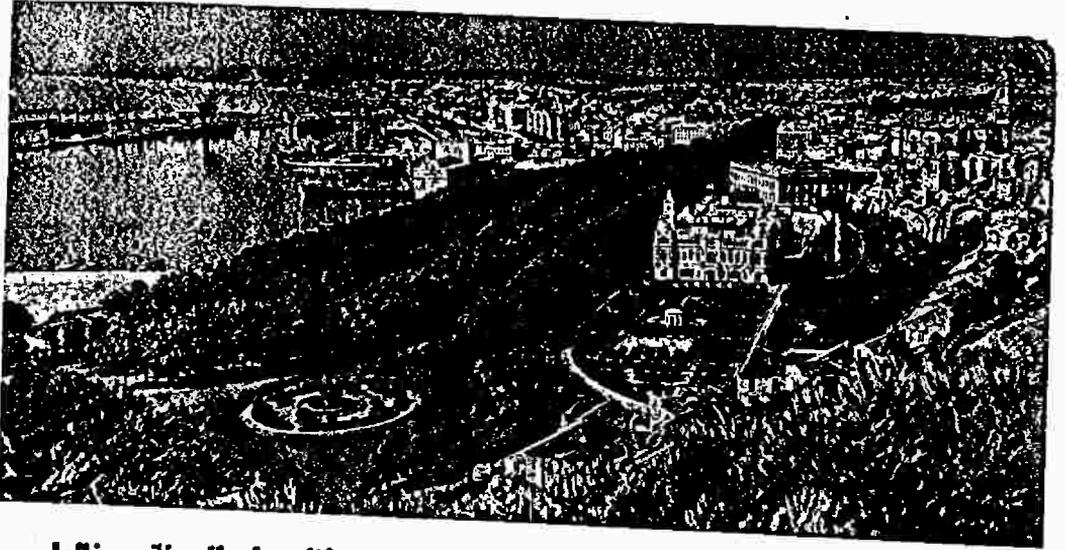
قال : بلد التآذين على السردين ، ومحل الدعاء والتأمين ، لمطعم الحوت السمين ، وحدقاتها مغرس العنب العديم القرين ، الى قبة أرين (59) . الا أن مرساها غير أمين ، وعقارها غير ثمين ، ومعقلها تركبه الارض عن شمال ويمين (60) .

4 - « سهيل » (61)

قلت : فسهيل ؟

قال : حصن حصين ، يضيق عن مثله هند وصين ، ويقضى — بفضله — كل ذى عقل رصين ، سبب عزه متين ، ومادة قوته شعير وتين . قد علم أهله مشربهم ، وأمنوا مهربهم . وأسهمت بين يديه قراه ، وجاد بالسّمك واديه وبالحب ثراه ، وعرف شأنه بأرض النوب (62) ، ومنه يظهر سهيل من كواكب الجنوب . الا أن سواحله فل (63) الغارة البحرية ، ومهبط

-
- (58) مربية : مدينة متوسطة ، تقع غرب مالقة ، على مسافة 60 كم منها ، تعرف في الاسبانية باسم « Marbella »
- (59) في نسخة (ر ، س ، ط) « قلت أن مرساها غير أمين » ، وقد أوردنا كذلك المستشرق « سيمونيت » ، ولكن الصواب في نسختنا .
- (60) في نسخة (س ، ر) « عن شمال ويمين » بدل « من شمال ويمين » .
- (61) سهيل : ميناء على ساحل البحر المتوسط ، يعرف اليوم في الاسبانية باسم Fuenjerola على مسافة 28 كم شرقي مربية .
- (62) ربما يقصد « بلاد النوبة » أقصى الجنوب بجمهورية مصر العربية ، وشمال السودان ، والتعبير كناية عن بعد صيت المدينة .
- (63) في نسخة (ر ، س) « بل » بدل « فل » .



منظر عام للمدينة ومينائها



منظر داخلي للقصبة

السرية غير السرية ، الخليفة بالحذر الحريم ، مسرح السائمة الاميرية ،
وخدامها (103 : أ) - كما علمت - أولئك هم شر البرية (64) .

5 - مالقة (65)

قلت : فمدينة مالقة ؟

قال : وما القول (66) في الدرة الوسيطة ، وفردوس هذه البسيطة ؟
أشهد لو كانت سورة لقرنت بها حذقة الاطعام (69) ، أو يوما لكانت عيدا في
العام (68) ، تبعث لها بالسلام مدينة السلام (69) ، وتلقى لها يد
الاستسلام محاسن بلاد الاسلام . أي دار ، وقطب مدار ، وهالة ابدار ،
وكنز تحت جدار . قصبتها مضاعفة الاسوار ، مصاحبة للسنين مخالفة
للادوار (70) ، قد برزت في أكمل الاوضاع وأجمل الاطوار . كرسي ملك
عتيق ، ومدرج مسك فتيق ، وايوان أكاسرة ، ومرقب عقاب كاسرة ،
ومجلى فاتنة حاسرة ، وصفقة غير خاسرة . فحماها منيع حريز ،

64) اقتباسا من قوله تعالى : « ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار
جهنم خالدين فيها ، أولئك هم شر البرية » سورة البينة ، آية : 6 .

65) مالقة : Malaga مدينة على ساحل البحر الابيض المتوسط ، جنوب شرق
الاندلس ، يرجع تأسيسها الى الفينيقيين عام 1200 ق. م ، حيث كانت تعرف
باسم « Malaca » بمعنى : الملح ، نسبة الى الاسماك المملحة التي اشتهرت
بها ، وتتوفر المدينة ايضا على أجود انواع الفواكه ، ولها شهرة في صناعة
الفخار Ceramica ، كانت عاصمة الحموديين الادارسة أيام ملوك الطوائف ،
كما كان بنو الاحمر يعتبرونها العاصمة الثانية بعد غرناطة .

راجع : المقرئ في « نوح الطيب » ج 1 ص 186 ، وياتوت الحموي في « معجم
البلدان » ج 17 ص 367 .

66) في نسخة (ر ، س) « وما اقول » بدل « وما القول » وكلاهما بمعنى .

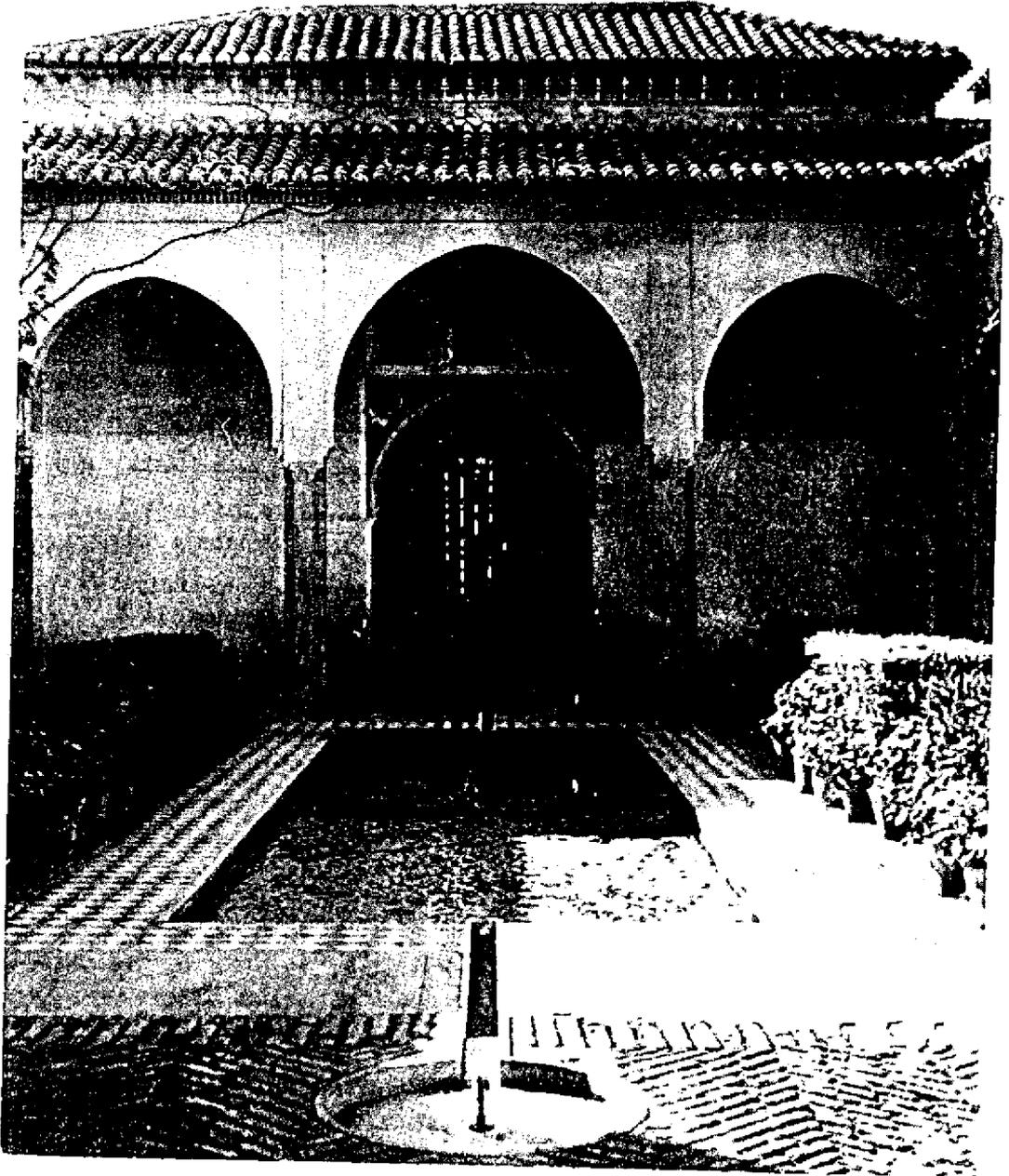
67) حذقة الطعام : الحفل الخاص بانتهاء الصبي من حفظ القرآن .

68) في نسخة (ط ، س) « في الايام » بدل « في الطعام » فالتعبير في نسختنا اعم .

69) مدينة السلام : بغداد .

70) في نسخة (س ، ر) « مصاحبة السنين ، مخالفة الادوار » ، فلعلها في نسختنا
أولسى .

مالقة - القسبة



احد الامنية في القسبة

اضطبنت دار الاسطول ، وساوقت البحر بالطول ، وأسندت الى
جبل الرحمة ظهرها ، واستقبلت ملعبها ونهرها ، ونشقت وردها الارج
(103 : ب) وزهرها ، وعرفت قدرها ، غأغلت مهرها . وفتحت جفنها على
الجفن غير الغضيض (72) ، والعالم الثانى ما بين الاوج الى الحضيض .

دار العجائب المصنوعة ، والفواكه غير المقطوعة ولا الممنوعة ،
حيث الاوانى تلقى لها يد الغلب صنائع حلب ، والحلل التى تلح صنعاء
فيها بالطلب ، وتدعو الى الجلب ، الى الدست الرهيف ، ذى الورق الهيف .
وكفى برمانها حقاق ياقوت ، وأمير قوت ، وزائر غير ممقوت . الى
المواساة ، وتعدد الاساة ، واطعام الجائع والمساهمة فى الفجائع ، وأى خلق
أسرى من استخلاص الاسرى ، تبرز منهم المخدرة حسرى ، سامحة
بسواريتها ولو كانا سوارى كسرى . الى المقبرة التى تسرح بها العين ،
وتستهان — فى ترويض روضاتها — العين ، الى غلها المحكمة البنيان ، المائلة
كنجوم السماء للعيان ، وافتراض سكنها — أوان العصير — على الاعيان ،
ووفور أولى المعارف والاديان .

(104 : أ) وأحسن (73) الشعر فيما أنت قائله

بيت يقال — اذا أنشدته — صدقا

وعلى ذلك ، فطينها يشقى به قطينها ، وأزبالها تحيى بها سبالها ،
وسروبها يستمد (74) منها مشروبها ، فسحنها (75) متغيرة ، وكواكب

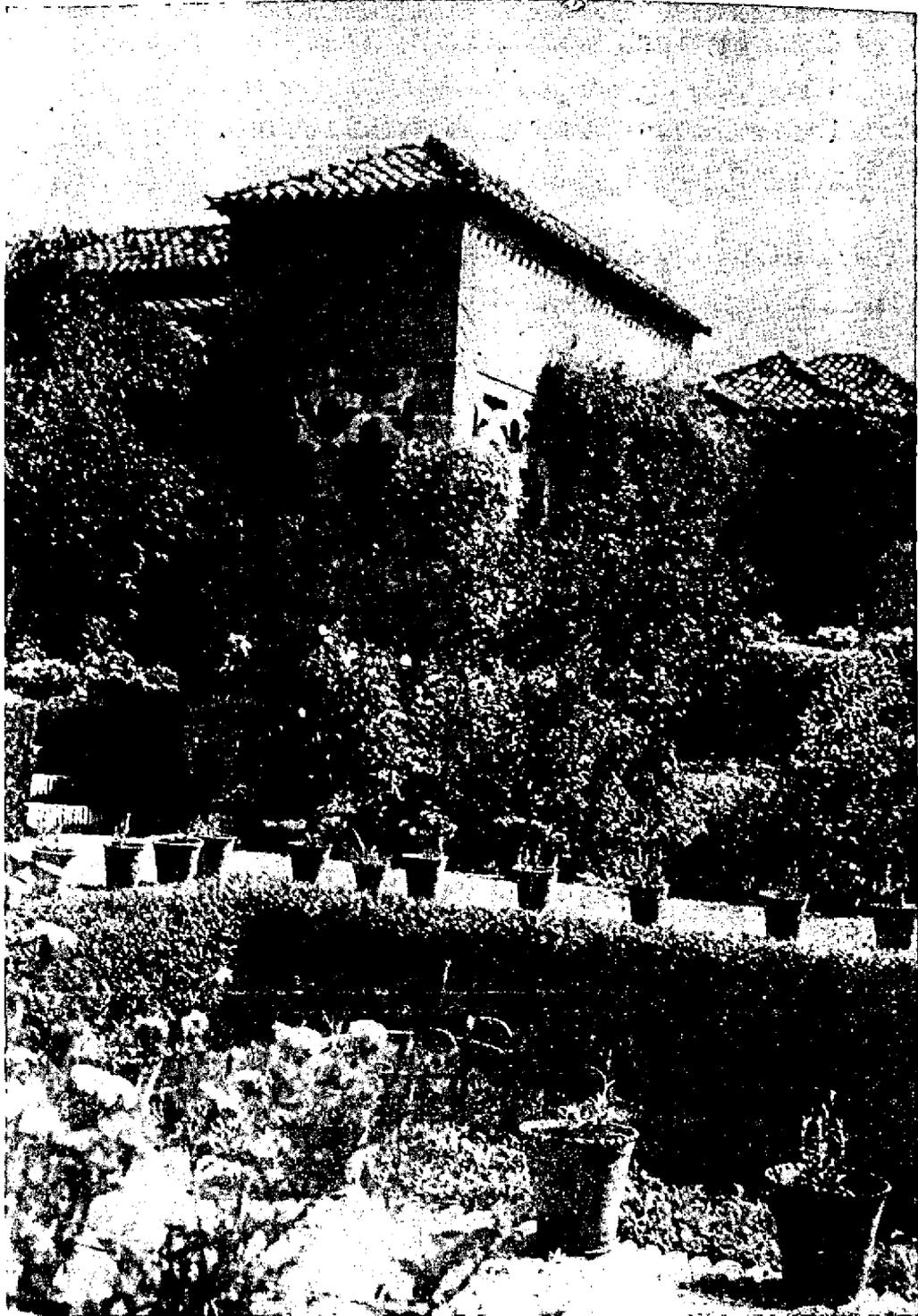
71 تبريز : مدينة فى ايران ، وهى قاعدة اقليم « اذربيجان الشرقية » ، وتشتهر
بصناعة الطنافس والحريز .

72 اضطبنت : وانفتت .

73 فى نسختى (س ، ط) « مما » بدل « فيما » .

74 فى نسختى (ط ، د) « يستعمل » بدل « يستمد » .

75 فى نسختى (ر ، س) « فسحهما ، فساحاتها » بدل « فسحنها » فلعلها فى
نسختنا أولى .



قصة مالقة (منظر جانبي)

أذهانها النيرة متحيرة ، وأقطارها جد شاسعة ، وأزقتها لزجة (76) غير واسعة ، وآبارها تفسدها أزفارها ، وطعامها لا يقبل الاختزان ، ولا يحفظ الوزن ، وفقيرها لا يفارق الاحزان ، وجوعها ينفى به هجوعها ، تحث (77) على الامواج أقواتها ، وتعلو على الموازين غير القسط أصواتها ، وأرحيتها تطرقها النوائب ، وتصيب أهدافها السهام الصوائب ، وتعدبها الجنائب ، وتستخدم فيها الصبا والجنائب ، وديارها الآهلة بالسكان قد صم بالنزائل صداها ، وأضحت بلاقع بما كسبت يداها ، وعين أعيانها أثر ، ورسم مجادنتها قد دثر ، والدهر لا يقول دعا لمن عثر (78) ، ولا ينظم شملا إذا انتثر . وكيف لا يتعلق الذام ، ببلد يكثر به الجذام ! محلة بلواه آهلة ، والنفوس — بمعرة عدواه — جاهلة .

ثم تبسم عند انشراح صدر ، وتذكر (79) قصة (104 : ب) الزبيرقان بن بدر (80) .

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وان ذممت تقل (81) قىء الزنابير مدح وذم ، وعين الشيء واحسدة ان البيان يرى الظلماء كالنور (82)

- (76) في نسخة (س) « حرجة » .
(77) في نسخة (ط) « تحط » بدل « تحث » .
(78) مثل يضرب عند العرب ، ومعناه : ان الدهر لا يدعو لك بالانتعاش اذا عثرت .
(79) في نسخة (س) « ونكر » بدل « وتذكر » .
(80) تتلخص قصة الزبيرقان بن بدر في : ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل عمرو ابن الاهتم عن الزبيرقان بن بدر ، فقال : « مانع لحوزته ، مطاع في أدنيه » فقال الزبيرقان : اما انه قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدنى شرفى ، فقال عمرو : « اما لئن قال ما قال : فوالله ما علمته الا ضيق الصدر ، زمر المروءة ، لئيم الخال ، حديث الفنى » ، فلما رأى عمرو انه قد خالف قوله الاول ، ورأى الانكار في عيني الرسول ، قال : « يا رسول الله ، رضيت ، فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أتبع ما علمت ، وما كذبت في الاولى ، ولقد صدقت في الاخرى » فقال الرسول عند ذلك : « ان من البيان لسحرا » .
انظر : الجاحظ في « البيان والتبيين » . ج 1 ص 52 .
(81) في نسخة (ط) « فقل » .
(82) في نسخة (ط ، س) « في النور » بدل « كالنور » .

6 - « بليش مالقة » (83)

قلت : فبليش ؟

قال : جادها المطر الصيب ، فنعم البلد الطيب ، حلى ونحر ،
(وبر) ولوز وتين ، وسبب من الامن متين ، وبلد أمين ، وعقار ثمين ،
وفواكه عن شمال ويمين ، وفلاحة مدعى انجابها لا يمين . الا أن التشاجر
بها أنمى من الشجر ، والقلوب أقسى من الحجر ، ونفوس أهلها بينة
الحسد والضجر ، وشأنها غيبة ونميمة ، وخبث (84) مائها - على ما
سوغ الله من آلائها - تميمة (85) .

7 - « قمارش » (86)

قلت فقمارش ؟

قال : مودع الوفر ، ومحط السفر ، ومزاحم الفرقد (87)
والغفر (88) ، حيث الماء المعين ، والقوت المعين . لا يخامر قلب

(83) هي بالاسبانية « Velez Malaga » موقعها غرب مدينة مالقة على
مسافة 34 كم . وقد تحدث ابن بطوطة عنها في « الرحلة » بما يؤيد وصف ابن
الخطيب هنا (رحلة ابن بطوطة ج 2 ص 187) .

(84) في نسخة (ر ، س) « وخبث » .

(85) التميمة : تجمع على تماءم ، وهي للاطفال مثلا ما يوضع على صدورهم أو
جباههم من تعاويد ، يعتقد أهلهم أنها تقيهم شر الجوائح وعين الحسد ، قال
الشاعر :

وإذا المنية أنشبت أظفارها الفيت كل تميمة لا تنفع

والقصد في موضوعنا : أن المؤلف يعلل لخبث ماء بليش ، بأنه تمويدة من حسد
الحساد ، لما أنعم الله به عليها من النعم التي عددها .

(86) قمارش : هي « Comares » إحدى الحصون الهامة أيام مملكة غرناطة ، وتتبع
قربها .

(87) الفرقد : البقر الوحشى .

(88) الغفر : ولد الوعل .

المنكب

مرفأ نزول عبد الرحمن الداخل
مؤسس دولة بني أمية بالاندلس



صورة من البحر

الثائر به خطرة وجله ، الا من أجله . طالما فزعت اليه نفوس الملوك
 الاخائر بالذخائر ، وشقت عليه أكياس المرائر في الضرائر . وبه الاعناب
 التى راق بها الجنب ، والزياتين ، واللوز والتين ، والحرث الذى له التمكين ،
 والمكان المكين . الا أنه عدم سهله (89) ، وعظم جهله ، فلا يصلح فيه
 الا أهله .

8 - « المنكب » (90)

قلت : (105 : أ) فالمنكب ؟

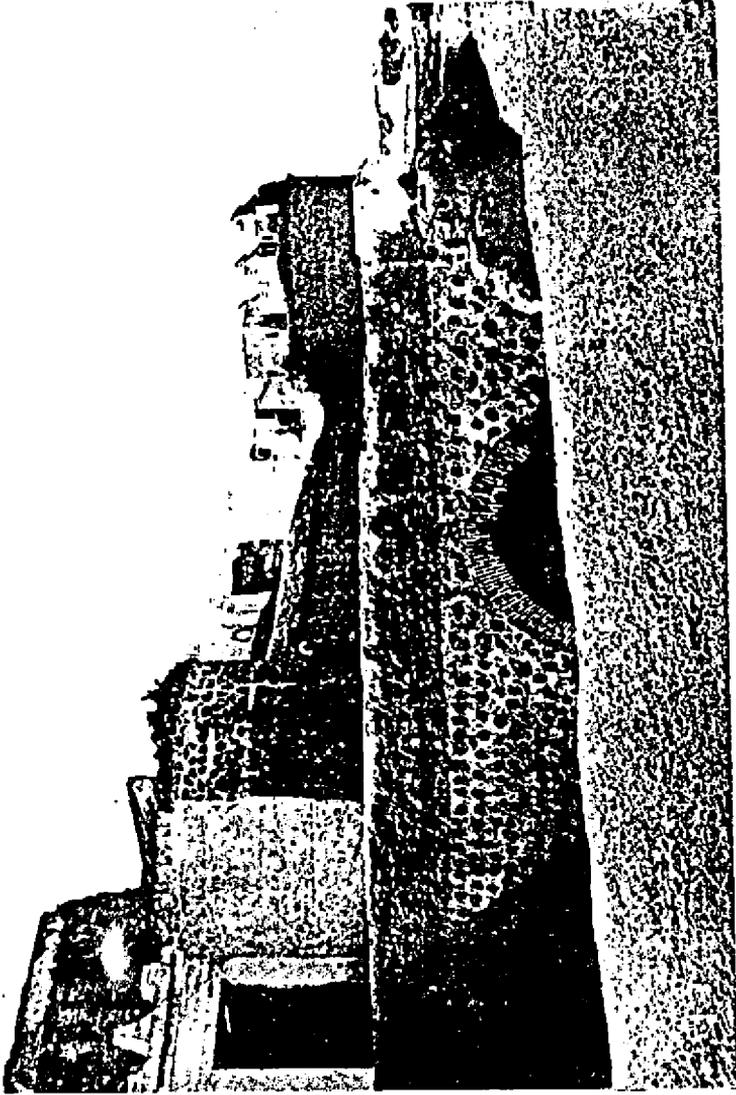
قال : مرفأ السفن ومحطها ، ومنزل عباد المسيح ومختطها . بلدة
 معقلها منيع ، وبردها صنيع ، ومحاسنها غير ذات تقنيع . والقصر
 المفتوح الطيقان ، المحكم الاتقان ، والمسجد المشرف المكان ، والاثر المنبىء
 عن كان وكان ، كأنه مبرد واقف ، أو عمود في يد مثاقف . قد أخذ من
 الدهر الامان ، وتشبهه بصرح هامان (91) ، وأرهفت جوانبه بالصخر
 المنحوت ، وكاد أن يصل (ها) بين الحوت والحوت (92) . غصت

(89) يرمى بهذه الكناية الى سوء خلق اهل البلد .

(90) المنكب : مرفأ ساحلى مرتفع ، يقع جنوب شرق الاندلس بمقاطعة غرناطة ،
 يدعى الآن « Almunecar » وقد نزل الامير الاموى عبد الرحمن بن معاوية بهذا
 الميناء عند دخوله الاندلس في ربيع الاول 138 هـ = سبتمبر 755 م ، وهذا
 الامير هو الذى عرف بعدئذ بلقب « الداخل » .
 راجع : الادريسى في « نزهة المشتاق » - ص 199 - نشر دوزى 1866 م ،
 وكذا « الروض المعطار للحميرى ص 186 .

(91) يرمى الى الصرح الذى امر فرعون وزيره هامان بتشييده له ، في قوله تعالى :
 « وقال فرعون ياأيها الملا ما علمت لكم من اله غيرى ، فاوقد لى يا هامان على
 الطين ، ناجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى ، وانى لاطنه من الكاذبين »
 القصص : 38 .

(92) يعنى بالحوت الاول : السمك ، وبالاخر : نجم ، كناية عن عظم ارتفاع القصر .



حصن المنكب (لول محط لعيد الرحصن الداخل)

— بقصب السكر — أرضها ، وأستوعب بها (93) طولها وعرضها ، زيببها فائق ، وجنابها رائق .

وقد مت — اليها — جبل الشوار (94) بنسب الجوار . منشأ الاسطول ، بعدته (95) غير ممطول ، وأمدته لا يحتاج الى الطول . الا أن اسمها مظنة طيرة تشتتف (96) ، فالتنكيب — عنها — يؤتتف (97) . وطرقها (98) يمنع شر سلوكها من تردد ملوكها ، وهوأؤها فاسد ، ووباؤها مستأسد ، وجارها حاسد . فاذا التهبت السماء ، وتغيرت بالسمائم (99) المسميات والاسماء ، فأهلها — من أجداث بيوتهم — يخرجون (100) ، والى جبالها يعرجون . والودك اليها مجلوب ، والقمح بين أهلها مقلوب ، (105 : ب) والصبر — ان لم يبعثه البحر — مطلوب (101) ، والحرباء — بعرائها — مصلوب (102) ، والحر — بدم الغريب — مطلوب (103) .

93 في نسخة (ر) « فيها » بدل « بها » .

94 يقصد به جبل « Sierra del Cazulas »

راجع في هذا كلام من الحميرى في « الروض المعطار » ص 112 ، وكذا :

« سيمونيت » في تحقيقه ص 47 .

95 في نسخة (ط) « لوعدها » .

96 في نسخة (س) « تستف » .

97 يؤتف : بيتدى .

98 في نسختي (س ، ط) « وطريقها » .

99 السمائم : الريح الحارة .

100 اقتباسا من قوله تعالى : « يوم يخرجون من الاجداث سراعا ، كأنهم الى

نصب يوفضون » سورة المعارج ، آية : 43 .

101 لعله يقصد أن القمح هو الآخر يجلب من الخارج ، ثم يصرف بين اهل المدينة ،

فان لم تات به السفن فالصبر نافذ .

102 لعل السبب لهذا شدة الحرارة ، كما أسلف ، ويبقى الاعتراض على تذكير

« مصلوب » والحرباء مؤنثة ، وعلى هذا المرجع أنه يقصد بالحرباء

تاطع الطريق العاتى ، بدليل ما بعده ، ويميل « سيمونيت » الى ذلك .

راجع : سيمونيت في تحقيقه ص : 47 .

103 ربما يرمى بذلك الى أن أهلها شرار يعترضون طريق الغريب ، بغية السلب ،

ولو ادى بهم ذلك الى قتل الغريب ، ومن ثم يكون القصاص منهم .

9 - « شلوبانية » (104)

قلت : فشلوبانية ؟

قال : أختها الصغرى ، ولدتها التي يشغل بها المسافر ويفرى ،
حصانة معقل ، ومرقب متوقل ، وغاية طائر ، وممتع ثائر ، ومنتزه زائر ،
تركب - بدنها - الجداول المرفوعة ، وتخرق - جهاتها - المذائب
المفردة والمشفوعة ، ففي المصيف تلعب بالعقل الحصيف ، وفي الخريف
تسفر عن الخصب والريف . وحوث هذه السواحل أغزر من رمله ،
تغرى (105) القوافل الى البلاد بحمله (106) ، الى الخضر الباكرة ،
والنعم الحامدة للرب الشاكرة . وكفى بمترايل (107) من بسيطها محلة
مشهورة ، وعقيلة ممهورة ، ووداعة في السهل غير مبهورة (108) .
جامعها حافل ، وفي حلة الحسن رافل . الا أن أرضها مستخلص السلطان
بين الاوطان ، ورعيته عديمة الاعيان ، مروعة على الاحيان . وتختص

104 شلوبانية : بلدة على ساحل البحر الابيض المتوسط ، تبعد بمسافة 16 كلم
شرق المنكب ، وتعرف في الاسبانية باسم « Salobrena » تحيط بها الجبال
من الشمال والغرب ، وبها حصن اندلسي من اهم الآثار الاندلسية . وهو
يشرف على المدينة من ناحية الشرق من ارتفاع شاهق ، وقد سقطت
شلوبانية في يد الاسبان في نفس العام الذي سقطت فيه المنكب ، أي عام
1489 م ، والى شلوبانية ينتسب امام النحو الاندلسي « أبو علي الشلوبين »
المتوفى باشبيلية عام 645 هـ (1247 م) .

105 في نسخة (س) « تغدو » .

106 في نسخة (س) « تحمله » .

107 مدينة تسمى الآن « Motril » ، يبلغ تعداد سكانها حاليا 50.000 نسمة
تقريبا ، تبعد عن مالقة بنحو 107 كم ، كما تبعد عن مدينة غرناطة شرقا
بنحو 74 كم تجاه ساحل البحر الابيض المتوسط ، تشتهر بزراعة قصب
السكر ، ولها أهمية اقتصادية بين مدن غرناطة ، حيث أنها مركز هام
للمواصلات .

108 غير مبهورة : غير مفضولة .

شلوبانية بمزية البنيان ، ولكنها غاب الحميات ، غير أمينة على الاقتيات ،
ولا وسيمة الفتيان ولا الفتيات (109) .

10 - « برججة » (110)

قلت : فبرججة ؟

قال : تصحيف وتحريف ، وتغيير في تعريف (111) . ما هي الابهجة
ناظر ، وشرك خاطر ، ونسيجة (106 : أ) عارض ماطر ، ودارين (112)
نفس عاطر . عقارها ثمين ، وحرمها أمين ، وحسنها باد وكمين ، عقود
أعناؤها قد قرطت آذان الميس (113) والـحـور (114) ، وعقائل أدواحها
مبتسمة عن ثغور النور . وسيطها متواضع عن النجد ، مرتفع عن الغور ،
وعينها سلسالة ، وسبائك (115) المذانب منها مسالة ، تحمل الى كل جهة
رسالة ، ودورها في العراء مبنوثة (وركائب النواسم بينها محثوثة) ،
لا تشكو بضيق الجوار ، واستكشاف العوار ، وتزاحم الزوار .

مياه وظلال ، وسحر حلال ، وخلق دمث كثراها ، ومحاسن متعددة
كقراها ، ولطافة كنواسمها عند مسراها ، وأعيان ووجوه ، نجل العيون ،

-
- 109 في نسختي (ط ، س) « والفتيات » بدون « لا » .
110 برجه : هي « Berja » تقع شرق الاندلس ، وتتبع اقليم المرية .
111 يصح أن يكون اسم المدينة مصحف عن « بهجة » ومحرّف عن « برج » ، وتقرأ
معرفة « البرج » ، وهذا مقصد ابن الخطيب من تعبيره عنها .
112 دارين : مكان بالبحرين يجلب اليه المسك من الهند ، وينسب اليها . وقد ورد
هذا المكان كثيرا في الاشعار العربية ، قال بعضهم :

يمرون بالدهنا خفانا عيابهم ويرجعون من دارين بجر الحقائق

- 113 الميس : نوع من الشجر . يوصف بضخامة الادواح والفصون .
114 الحور : نوع من الكروم ينهض على ساق .
115 في نسخة (ط) « وسنايك » .

بيض الوجوه ، غلتهم الحرير ، ومجادتهم غنية عن التقرير . إلا أن متبوأها بسيط مطروق ، وقاعدتها فروق (116) ، ووتدها مفروق (117) ، ومعتلها خرب ، كأنه أحذب جرب ، ان لم ينقل اليه الماء ، برح به الظماء ، وثله در صاحبنا اذ يقول :

يا بسيطاً بمعانى برجه أصبح الحسن به مشتهدرا
لا تحرك بفخار مقولاً فلقد ألقمت منها حجرا
والبر بها نزر الوجود ، واللحم تلوه وهما طبييتا الوجود ، والحرف (106 : ب) بها زاوية العود ، والمسلك اليها بعيد الصعود .

11 - « دلایة » (118)

قلت : فدلاية ؟

قال خير رعاية وولاية ، حرير ترفع عن الثمن ، وملح يستفد على الزمن ، ومسرح معروف ، وأرض ينبت بها جبن وخروف . إلا أنها لسرايا العدو البحرى مجر العوالى ، ومحل الفتكات على التوالى ، فطريقها صوى (119) ومشاهد ، والعارف - فى مثلها - زاهد .

-
- 116 قاعدتها فروق : اى ان أرضها عرضة للغارات ، التى تجعلها جزعة يملكها الخوف .
- 117 وتدها مفروق : كناية عن ان مبانيتها يفرقتها نهر او واد مثلا ، والتعبير اصطلاح عروضى ، والتورية واضحة .
- 118 دلایة : هى « Dalias » احدى القرى التابعة لولاية المرية ، تبعد بنحو 9 كم جنوب شرق برجة .
- 119 صوى : ما يوضع فى الطرق من احجار كعلامات ، وفق نسخ رس ، طه ، ر ، « هوى » . وقد أوردها « سيهونيت » هكذا ، ولعل الصواب فى نسختنا .

12 - « المريية » (120)

قلت : فمدينة المريية ؟

قال : المريية هنية مرية ، بحرية برية ، أضيحة سرية ، معقل الشموخ والاباية ، ومعادن المال وعنصر الجبائية ، وحبوة الاسطول (121) ، غير المعقل بالنصر ولا الممطول ، ومحط التجار ، وكرم النجار ، ورعى الجار . ما شئت من أخلاق معسولة ، وسيوف من الجفون السود مسلوقة ، وتلك محلولة ، وحضارة تعبق طيبا ، ووجوه لا تعرف تقطيبا ، ولم تنزل مع الظرف - دار نساك ، وخلوة اعتكاف وامساك .

(120) المريية « Almaria » مدينة كبيرة جنوب شرق الاندلس ، ومن اجمل الثغور والمدن الاندلسية ، وهى عاصمة الولاية المسماة ، بهذا الاسم ، يبلغ سكانها اليوم 85.000 نسمة تقريبا ، واهم صادراتها الحديد والرصاص والفاكهة ، وكانت فى العهد الاسلامى من اهم ثغور الاندلس الجنوبية ، بناها الخليفة الاموى عبد الرحمن الناصر عام 344 هـ = 955 م ، وسقطت فى يد الاسبان فى فبراير 1490 م (895) .

راجع : الروض البعطار للحميرى ص 183 ، 184 ، وكذلك ما ذكره المستشرق « زيبولد » بدائرة المعارف الاسلامية ، عن وضعية هذه المدينة فى العهد الاسلامى ص 319 (Zeybold, Enc. ISI, I, P. 319)

(121) يقصد القاعدة التى هى مرسى الاسطول .

(122) فى نسختى (س ، ر) « وأنف » وهكذا ورد عند « سيمونيت » ، فلعل الصواب فى نسختنا ، اذ يرمى المؤلف بتعبيره هذا الى أن معظم اسم المدينة يعنى « المرارة » التى ذاتها العدو فانقلب عنها .

المريية



صورة للقصبه المريية من الجو

أرغم أهلها أنف الصليب ، لما عجم منها بالعود الصليب ، وألف (122)
لامها وألفها حكم التغليب ، فانقلب منها آيسا (123) عند التغليب :

يسأل عن أهل المرية سائل
وكيف ثبات القوم والروع باسر

(107 : أ) قطا دارج في الرمل في يوم لذة
ولهو ، ويوم الروع فتح كواسر (114)

بحرها مرفأ السفن الكبار ، وكرسیها هو العزيز عند الاعتبار ،
وقصبتها سلوة الحزين ، ومودع الخزين ، وفالك المنتزين . وهي محل
الغلل (125) المجدية ، والاندية (126) المشفوعة الاردية ، ولواديها
المزية على الاودية . حجة الناظر المغتون ، المكسو الغصون (127) والمتون ،
بالاعناب والزيتون .

(123) ينبغي ان نشير هنا الى هذه المؤامرة السرية الخطيرة التي تمت بين قشتالة
واراجون على غزو مملكة فرنانطة في آن واحد عام 1309م (709هـ) . وتتلخص
هذه المؤامرة في ان تهاجم الجيوش القشتالية مدينة الجزيرة الخضراء
Algociras بالجنوب ، بينما تهاجم الاساطيل الارجونية ثغور المرية من
الشرق ، ويتابع الطرفان هجومهما حتى يتقابلا في غرناطة نفسها ، وقد
تعرضت مدن اندلسية كثيرة لشر هذا الاتفاق ، وكانت المرية اكثر المدن
ابتلاء بهذا الهجوم ، وقد فشل المشروع الهجومي بصمود هذه المدن .
انظر : ابن القاضى في « درة الحجال في غرة اسماء الرجال » ج 1 ص : 71
وما بعدها ، نشر علوش . الرباط 1934 م ، وقد ترجم النص الى عدة لغات ،
منها ترجمة اسبانية لسانثيث البرانث في :

Sachez, Alboremez, La España Musulmana, P. 386-392.

(124) فتح : الاسد ذوات الكف العريض .

(125) في نسختي (س ، ط) « والحلل » .

(126) في نسخة (ط) « والاردية » .

(127) في نسخة (ط) « الخصور » .

بلد الخام (128) ، والرخام ، والذمم الضخام ، وحمتها (129) بديغة البوصف ، محكمة الوصف ، مقصودة للعلاج والقصف . حرها شديد ، ودكرها طويل مديد ، وأثرها على البلى (130) جديد . الا أن مفارمها ثقيلة ، وصفحة جوها - في انحول - صقيلة ، وسمأؤها بخيلة ، وبروقها لا تصدق منها مخيلة ، وبلالة النطية منزورة العطية ، وسعرها من الاسعار غير الوطية . ومعشوق البر بها قليل الوصال ، وحمل البحر صعب الفصال (131) ، وهي متوقعة الا أن يقى الله طلوع النضال ، وعادة المصال (132) .

13 - « طبرنش » (133)

قلت : فطبرنش ، من شرقيها ؟

قال : حاضرة البلاد الشرقية (134) ، وثنية البارقة الافقية . ما شئت من تنجيد بيت ، وعصير زيت (135) ، (107 : ب) واحياء أنس

- (128) في نسختي (ط ، ر) « الكنان » نفى نسختنا ام .
- (129) حمتها : لا يقصد بلدة الحامة ، « Alhama » التي سيفرد ابن الخطيب لها وصفا خاصا بها بعد قليل . وانما يقصد العين الحارة الخاصة بالمرية ، وذلك خلافا لما ذكره العبادي في « المشاهدات » .
- (130) في نسخة (ر ، س) « البلاد » ، وقد أوردها « سيمونيت » كذلك ، ولعلها في نسختنا اصوب .
- (131) في نسختي (ر ، ط) « العضال » وقد أوردها « سيمونيت » كذلك ، ولعل الصواب في نسختنا ، فهو يعنى أن حمل السفن من قمح وخراسه صعب الفصال ، وهو كتابة عن قلة البر وغلأوه .
- (132) المصال : الكفاح .
- (133) طبرنش : هي « Tabernas » وتعنى باللاتينية : حوانيت واكوخ . انظر : سيمونيت في تحقيقه . Simonet. O.P. Cit. P. 103
- (134) في نسخة أخرى « البلاد الشرقية » .
- (135) في نسخة (س) « وعصر الزيت » .

ميت ، وحمام طيب ، وشعب تنتثر فيه دنانير أبى الطيب (136) . الا أنها محيلة الغيوث ، عادية الليوث ، متحزبة الاحزاب (137) شرهة الاعزاب . ولو شكر - الغيث - شعيرها ، أخصبت - البلاد - غيرها .

14 - « بيـــــرة » (138)

قلت : فبيـــــرة ؟

قال : بلدة صافية الجو ، رحيية الدو (139) ، يسرح بها البعير ، ويجم بها الشعير ، ويتصددها - من مرسية وأحوازاها - العير ، فساكنها بين تجر وابتغاء أجر ، وواديها نيلى الفيوض والمدود ، مصرى التخوم والحدود ، ان بلغ الى الحد المحدود ، فليس رزقه بالمحصور ولا بالمعدود . الا أنها قليلة المطر ، مقيمة على الخطر ، مثلومة الاعراض والاسوار ، مهطعة لداعى البوار ، حليفة حسن مغلوب ، معلة بالماء المجلوب ، آخذة باكظام القلوب ، خاملة الدور ، قليلة الوجوه والصدور ، كثيرة المشاجرة والشورور ، برها أنذر من برها فى المعتمر والبور ، وزهد أهلها فى الصلاة

(136) يرمى بذلك الى وصف المتنبي (303 - 354 هـ/ 915 - 965 م) لشعب بوان، فى تساقط أشعة الشمس من خلال الاوراق على الارض ، وكائنها الدنانير ، وشعب بوان هو مكان بفارس قرب شيراز ، يوصف بكثرة المياه والاشجار . قال المتنبي فى وصفه :

هدونا تنفض الاغصان ليسه	على أعرانها مثل الجمان
نسرت وقد حجبى الشمس عنى	وجئن من الضياء بما كفتنى
والقى الشرق منها فى ثيابى	دنانير نقر من البنان

راجع : العرف الطيب - لليازجى ج 7 ص 603 - 612 .

(137) فى نسختى (ر ، س) « شريفة » فلعل الصواب فى نسختنا .

(138) بيرة : هى بالاسبانية « Vera » تقع شمال شرق مملكة غرناطة ، وهى بلدة مرتفعة ، على ساحل البحر الابيض المتوسط ، مما اكسبها أهميتها الحربية .

(139) الدو : الفضاء خارج المدينة .

شائع في الجمهور ، وسوء ملكة الاسرى من الذائع (بها) (140)
والمشهور .

(ما قام خيرك يا زمان بشره اولى لنا ما قل منكوما كفى) (141)

15 - « مجاقر » (142)

قلت : فمجاقر ؟

قال : حصن جديد ، وخير مديد ، وبحر ما على افادته مزيد ،
(وخصب ثابت ويزيد) (143) . ساكنه قد قضى - الحج - أكثره ،
وظهر (108 : أ) عين الخير فيه وأثره ، الا أنه لا تلقى - به للماء -
بلالة ، ولا تستشف للجود علالة .

16 - « قنتورية » (144)

قلت : فقنتورية ؟

قال يسار يمينها ، وغبار كمينها ، ومعمول يمينها ، يوجد بها الجبن
والعسل ، ومن دونها الاسل (145) ، وأما عن الخبز فلا تسل . وان كانت
أحسن شكلا ، فأقل شربا وأكلا ، وأجفا أهلا ، وأشد جهلا ، وأعدم علا

(140) زيادة في « س » .

(141) هذا البيت ورد في النسخ الاخرى ، وأثبتته « سيمونيت »

Simonet OP. Cit. P. 112

(142) مجاقر : هي بالاسبانية « Mojacar » احدى قرى الاندلس الصغيرة ، مسا
زالت حتى اليوم ، وما زال نساؤها حتى الآن يرتدين الحجاب .

(143) زيادة في « س » ، ط .

(144) قنتورية : هي « Cantoria » تقع جنوب « برشانة » على نهر المنصورة .

(145) كناية عن بخل أهلها ، بدليل ما ذكره بعدئذ .

ونحلا ، وأهلها شرار ، أضلعهم بالظماء (146) حرار . لا تلفى بها
 نغبة (147) ماء ، ولا تعدم (148) مشقة ظماء ، ولا تتوج أفقها الا في
 الذرة قزعة سماء .

17 - « برشانة » (149)

قلت : فبرشانة ؟

قال : حصن مانع ، وجناب يانع ، أهلها أولو عداوة لاخلق البداوة ،
 وعلى وجوههم نضرة وفي أيديهم نداوة ، يداوون بالسلافة (150) علل
 الجلافة ، (ويؤثرون علل التخلف على لذة الخلافة) (151) ، فأصبح
 ربعم ظرفا ، قد ملئ ظرفا ، فللمجون به بسوق ، وللفسوق ألف سوق ،
 تشمر به الاذيال عن سوق . وهي تبين بعض بيان عن أعيان ، وعلى وجوه
 نسوانها طلاقة ، وفي السننهم ذلاقة ، ولهن بالسفارة (152) في الفقراء
 علاقة . (153) الا أن جفنها ليس بذي سور يقيه مما يتقيه ، ووغدها يتكلم
 بملء فيه ، وحليهما يشقى بالسففيه ، ومحياها تكمن حية الجور فيه .

146 في نسختي (س ، ر) « بالظما » وهكذا أوردتها « سيمونيت » ، ولعل الصواب
 في نسختنا .

147 النغبة : بالتشديد مع الفتح أو الضم ، بمعنى الجرعة من الباء .

148 في نسخة (س) « ولا يعدم » .

149 هي « Purchena » وتقع على نهر المنصورة ، تتبع ولاية « المرية » ، ويوجد
 مكان آخر بهذا الاسم بولاية « جيان » .

أنظر « الروض المعطار » للحميري ص 52 حاشية 1 .

150 السلافة : أفضل أنواع الخمر ، اذ هي السائل قبل العصير

151 هذه العبارة زائدة في النسخ الأخرى ، والعلل هو الشرب للخمر المرة تلو
 المرة ، فاهل المدينة يؤثرون ذلك على لذة الملك .

152 في نسختي (س ، ر) « عن » ، وهو أصوب وأنسب .

153 كناية عن اشتغال بعض نساؤها بالقوادة .

18 - « أوربية » (153)

قلت : فأوربية ؟ (108 : ب) .

قال : بلد الجبن والعسل (154) ، والهواء الذي يذهب بالكسل ، وأما عن الماء البرود فلا تسل . ادامه الصيد الذي لا يتعذر ، وقوته الشعير الذي يبذر . الا أنه بادي الوحشة والانقطاع ، والاجابة لداعى المخالفة (155) والاهطاع (156) . وحش الجناب (157) ، عرى من ثمرات النخيل والاعناب ، حقيق لمعرفة العدو والاجتناب .

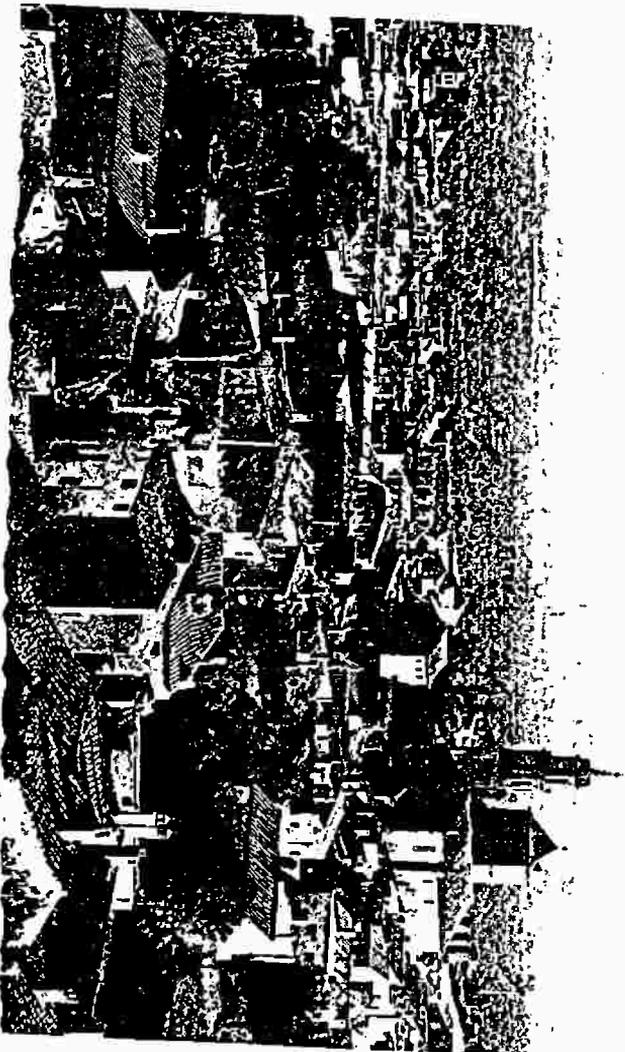
19 - « بليش الشقراء » (158)

قلت : فبليشش ؟

قال : ثغر قصى ، وقياد (159) - على الامن - عصى ، ويتيم ليس عليه - غير العدو - وصى . ماؤه معين ، وحوره عين ، وخلوته - على النسك وسواه - تعين . وبه الحمام ، والنطف الجمام (160) ، ولاهله بالصيادة اهتمام ، وعسله - اذا اضطفت العسول - امام . الا أنها

-
- (153) هي المعروفة اليوم باسم « Oria » بولاية المرية .
(154) في النسخ الاخرى « بلدة » .
(155) في نسخة اخرى « المخالفة » .
(156) الاهطاع : الاسراع في خوف .
(157) في نسختى (س ، ر) « وحسن » هكذا أوردها « سيمونيت » ، وهو ما يتناسب مع السياق العام للوصف .
(158) هي « Velez Rubio » تقع قرب مدينة « لورقة » ، علاوة على « بليش البيضاء » « y en sun proximidades Velez Blanc » كما توجد بليش اخرى تدعى « Velez Malaga » وهي قرب « مالتة » .
(159) في النسخ الاخرى بحذف « وقياد » .
(160) النطف الجمام : الماء الكثير .

بسططة غرناطة



منظر عام للمدينة

بلدة منقطعة بائية ، وبأحواز العدو كائنة ، ولحدود لورقة (161) — فتحتها الله — مشاهدة معاينة . وبرها الزهيد القليل يتحف به العليل ، وسبيل الامن اليها غير سبيل ، ومرعاها — لسوء الجوار — وبيل .

20 — « بسطة » (162)

قلت : فمدينة بسطة ؟

قال : وما بسطة ! بلد خصيب ، ومدينة لها من اسمها نصيب ، دوحها متهدل ، (163) وطيب هوائها غير متبدل ، وناهيك من بلد اختص أهله في معالجة الزعفران ، وامتازوا به عن غيرهم من الجيران . عمت — أرضها — السقيا فلا تخلف ، وشملتها البركة يختص الله (164) 109 : (أ) من يشاء ويزلف ، يتخلل — مدينتها — الجدول المتدافع ، والنافع للعلل (165) النافع . ثياب أهلها بالعبير تتأرجح ، وحوورها تتجلى وتتبرج وولدانها — في شط انهارها المتعددة — تتفرج . ولها الفحص الذي يسافر فيه الطرف سعيا ، ولا تعدم السائمة به ريا ولا رعا ، ولله در القائل :

الجانى الدهر الى عالم يؤخذ منه العلم والدين (166)
في بلدة عوذت نفسى بها اذ في اسمها طه وياسين

161 لورقة : مدينة تبعد عن مرسية بنحو 60 كم على مرتفع جبلى ، هي قلعة مرسية في الحروب الاسلامية النصرانية ، وقد سقطت لورقة هذه في يد الاسبان عام 1248 م (645 هـ) .

راجع : الروض المعطار ص 171 .

162 بسطة : تعرف الآن في الاسبانية باسم « Baza » تقع شمال شرق غرناطة بنحو 25 كم .

163 في نسختى (س ، ر) « متدل » .

164 في نسختى (ط ، ر) « تختص » .

165 في نسخة (ط) « للعلل » .

166 في نسخة (ط) يتأخر البيت الاول عن الثانى ، وهو ما لا يتناسب والسياق العام ، وهكذا أوردها سيمونيت دون اشارة الى نسختنا .

الا أن ترتبها تفضح البناء ، وان صحبة الاعتناء ، فأسوارها تسجد عند الإقامة ، وخذقتها — لاكسارها — تلقامة ، فهي — لذلك — غير دار (167) مقامة ، ورياحها عاصفة ، وعودها قاصفة ، وحاميتها تنظر الى الهياج ، من خلف سياج ، فالعدو فيها شديد الفتكات ، معمل الحركات ، وساكنها دائم الشكات ، وحدها قليل ، وأعيانها قليل (168) ، وعزيزها — لتوقع المكروه — ذليل .

21 — « أشكر » (169)

قلت : فاشكر ؟

قال : نعم البسيط المديد ، والرزق الجديد ، والتقى (170) العديد ، والصيد والقديد (171) ، تركب الجداول فحصها ، ويأبى الكمال نقصها ، ويلازم ظل الخصب شخصها . مسرح البهائم ، ومعدن الرعى الدائم . الا أن معقلها لا يمنع ، ومكانها يحوم عليه (109 : ب) الحادث الاثنع ونفوس أهلها مستسلمة لما الله يصنع .

(167) في نسخة (ط) « خير » ، وهو ما لا يتناسب والسياق العام لوصف طبيعة البلد ، وقد أوردها سيمونيت كذلك مخالفة لنسختنا .

(168) هذه الجملة زائدة في نسختنا ، دون النسخ الأخرى .

(169) اشكر : هي « Huescat تتبع ولاية قرناطة ، وتقعها شمال بسطة ، ويشير « سيمونيت » عند ذكر هذه المدينة الى المنازعات التي كانت بين المسلمين والنصارى أيام ابن الخطيب .
راجع : Simonet. OP. Cit. p. 63

(170) في نسخة (ط) « والسعى » .

(171) في نسختي (ر ، س) « القديد » بدون الواو .

22 — « أندرش » (172)

قلت : فأندرش ؟

قال : عنصر جباية ، ووطن بهم (173) أولو اباية ، حريرها ذهب ، وتربها تبر منتهب (174) ، وماؤها سلسل ، وهوؤها لا يلغى معه كسل .
الا أنها ضيقة الاحواز والجهات ، كثيرة المعابر والفوهات . أعرابها أولو استطالة ، وابناء مترفيها كثير و البطالة ، فلا يعدم ذو الزرع عدوانا ، ولا يفقد غير الشر نروانا ، وطريقها غير سوى ، وساكنها ضعيف يشكو من قـوى .

23 — « شبالسش » (175)

قلت : فشبالسش ؟

قال : معدن حرير خلصت سبائكها ، وأثرى بزازه وحائكها ، وتهدلت حجاله وتمهدت آرائكها ، وجباية سهل اقتضاؤها ، وجمت بيضاؤها . الا

- 172 أندرش : هي « Andorax » تتبع البرية ، مدينة صغيرة ، توجد الان تسرب ولايتها ، واسمها يطلق على نهر هناك ينبع من جبل الثلج Sierra Nevada ويصب في البحر الابيض المتوسط .
- 173 في نسخة (ر) « به » بدل « بهم » ، والبهم بضم مفتوح ج بهمة ، وهو الشجاع ، يقول البوصيري :
- طارت تلوب العدا من باسم فرقا فما تفرق بين البهم والبهم
- 174 في نسختي (س ، ر) « ملتهب » هكذا أوردها « سيمونيت » ، ولعل الصواب في نسختنا .
- 175 في نسخة (ط ، ر) « الفرج » ، هكذا أوردها سيمونيت ، وهو ما لا يتناسب والسياق ، فلعل الصواب في نسختنا .
- 175 تسمى بالاسبانية « Jubles » بوقتها بأطراف جبل الثلج « Sierra Nevada » وكانت عبارة عن حصن في العصور الاسلامية ، وقد تحدث « سيمونيت » عن هذا الحصن وأهميته في الحروب الاهلية ، التي كانت تنشب في غرناطة على مر عصورها الاسلامية المختلفة .
- راجع في هذا : « سيمونيت » ص 102 .

أنه وطن عدم ادامة ، وبيت ظهر اهتامه ، وفقدت به حيل التعميش
وأسبابه ، ومحل لا يقيم به الا أربابه .

24 - « وادى آس » (176)

قلت : فمدينة وادى آس ؟

قال : مدينة الوطن ، ومناخ من عبر أو قطن ، للناس ما بدا (177)
ولله ما بطن . وضع سديد ، وبأس شديد ، ومعدن حديد ، ومحل عدة
وعديد ، وبلد لا يعتل فيه الا النسيم ، ومرأى يخجل منه الصباح الوسيم .
كثيرة الجداول والمذانب ، مخضرة الجوانب . الى (110 : أ) الفواكه
الكثيرة ، والكروم الاثيرة ، والسقى الذى يسد الخلة ، ويضاعف الغلة .
وسنדהا معدن الحديد والحريير ، ومعقلها أهل للتاج والسريير . وهى
دار أحساب ، وارث واكتساب ، وأدب وحساب . وماؤها مجاج الجليد ،
وهواؤها يذكى طبع البليد . الا أن ضعيفها يضيق عليه المعاش ، وناقها
يتعذر عليه الانتعاش ، وشيخها يسطو على عصابة الارتعاش (178) .
فهى ذات برد ، وعكس وطرده ، ما شئت من لحي راعد ، ومقرور على
الجمر قاعد ، ونفس صاعد ، وفتنة يعد بها واعد ، وشرور تسل الخناجر ،
وفاجر يسطو بفاجر ، وكلف بهاجر (179) ، واغتمام تبلغ به القلوب
الحناجر ، وزمهيرير تجمد له المياه فى ناجر شهر (180) . وعن ذلك قدرتها

176 وادى آس : هى « Guadix » تقع شمال شرق غرناطة ، على نهر « فردس »
وتبعد عن غرناطة بنحو 55 كم .
راجع : الحميرى فى : « الروض المعطار » من 192 — 193 نشر ليفسى
بروفنسال

177 فى نسخة (ط) « ما ظهر » .

178 فى نسختى (ط ، س) « وشيخها يخطو على تصبة الارتعاش » .

179 الهاجر : الفحش والبذىء من القول .

180 شهر ناجر : كل شهر من شهور الصيف ، لان الابل تنجر فيه اى تمطش .

أسمح (181) للحالب ، ونشيدتها أقرب للطالب ، ومحاسنها أغلب والحكم
للغالب .

25 - « فنيانة » (182)

قلت : فنيانة ؟

قال : مدينة ، وللخير خدينة ، ما شئت من ظبي غرير ، وعضب
طرير (183) ، وغلة وحرير ، وماء نمير ، ودوام للخزين (184) وتعمير .
الا أن بردها كثير ، وودقها نثير ، ووشرارها لهم في الخيار تأثير .

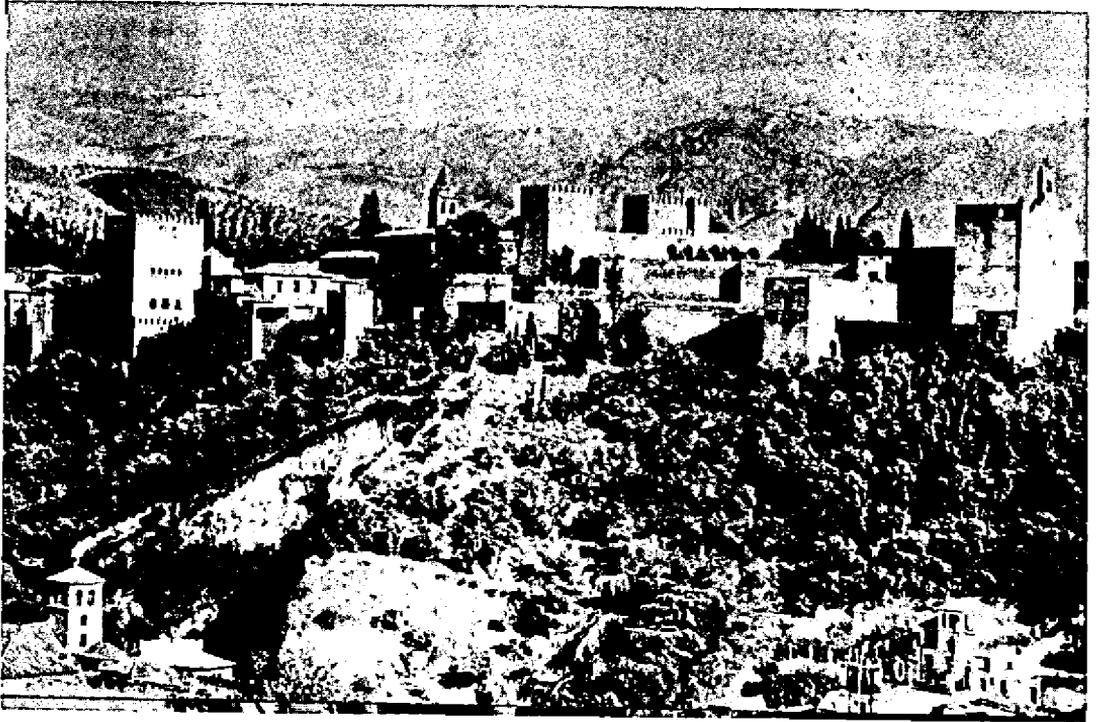
26 - « مدينة غرناطة » (185)

قلت : نمدينة غرناطة ؟

قال : حضرة سنية ، والشمس (بها) عن مدح المادح غنية ،

-
- (181) في نسختي (س ، ر) « اسمع » وهكذا أوردها « سيمونيت » ، ولكنها في
نسختنا أصوب
- (182) هي « Finana » تقع ضمن مقاطعة المرية على مسافة 30 كم . جنوب شرق
وادي آش .
راجع : الحميري في « الروض المعطار » ، ص 172 حاشية 2 .
- (183) عضب طرير : سيف ذي حد مرهف .
- (184) في نسختي (س ، ر) « للتخزين » .
- (185) هي Granada ومعناها « الرمان » ، وهي شعارها التاريخي ، تقع في واد
عميق ، يمتد من المنحدر الشمالي الغربي لجبال « سيبرانيغادا » ويحدها من
الجنوب نهر شنيل فرع الوادي الكبير ، ويخترق فرعه « حدره » المدينة من
الوسط ، والى يمينه يقع حي البيازين ، ومعظم المدينة الحديثة ، وتقع قصبة
الحمراء في الناحية الأخرى . وقد سقطت غرناطة بالتسليم في يد الملكيين
الكاثوليكين « فرناندو وايزابيلا » في 2 يناير 1492 م (2 ربيع الأول 897 هـ) .
وهي خاتمة الفتوح التي توجت حروب الاسترداد Reconquista لذلك تحظى

غرناطة



الحمراء وقلمتها

كبرت عن قبيل وقال ، وجلت عن (110 : ب) وامق (186) وقال (187) ، وقيدت العقل بعقل ، وأمنت حال حسنها من انتقال . لو خبرت في حسن الوضع لما زادت وصفا ، ولا أحكمت رصفا ، ولا أخرجت

غرناطة بمنزلة خاصة في نفوس الإسبان ، وفي التاريخ الإسباني كذلك ، فهي المرقد الأبدى لغايتها الكاثوليكين ، كما حباها ملوك إسبانيا بعنايتهم ، وفي مقدمتهم الإمبراطور « شارلكان » الذي أسس جامعها الشهيرة . وغرناطة اليوم ولاية ومدينة ، فكونها ولاية تشمل مساحة قدرها 5-000 ميل مربع يحدها البحر من الجنوب ، ومن الشمال ولايات قرطبة وجيان ، ومن المشرق ولايتا المرية ومرسية ، ومن الغرب ولاية مالقة ، وتخترقها وتظلها جبال الثلج « سييرانيفادا » ويرويها كل من نهر الوداي الكبير وفرعه نهر شنيل ، وجوها جار ، ولاسيما في الوديان المنخفضة ، وباردة في التلال ، وتربتها خصبة جدا ، ولاسيما في المغرب والجنوب ، ويبلغ سكان الولاية 1-500-000 نسمة تقريبا ، ويتبعها من المدن : وادي آش ، وأشكر ، ومترابل ، والحامة ، وستاني ، ولوشه ، وحصن اللوز ، ومونتني فريو ، ولجيجر ، وبسطة ، والمنكب ، وأرجية ، وشلوبانية . وغرناطة العاصمة حاليا ثلاثة أقسام ، هي : أنتكروبيلا ، وغرناطة ، والبيازين . وهي مدينة زراعية صناعية ، ويبلغ عدد سكانها اليوم حوالي 170-000 نسمة ، وتمتاز بكثرة منشآتها العلمية والفنية ، وقد تأسست جامعها عام 1531 م في عصر الإمبراطور شارلكان ، وقد بارك المشروع « البابا كليمنت السابع » وأصدر مرسوما بإنشاء الجامعة التي تشتمل على كليات ، هي : الفلسفة والآداب ، والعلوم ، والحقوق ، والطب ، والصيدلة . ويلحق بكلية الآداب — معهدان هما : معهد تاريخ الملكين الكاثوليكين ، وقد أنشئ عام 1943 م ، والثاني مدرسة الأبحاث العربية بغرناطة ، والتي تعمل بالتعاون مع مدرسة « بيجيل آسنن » للدراسات العربية بمدريد ، ويصدران معا « مجلة الأندلس » ، وغرناطة عدة متاحف ، منها متحف الحمراء ، والمتحف الأثري ، ومتحف البلدية . أما المعالم والآثار الأندلسية الباقية فهي : الحمراء ، وجى البيازين ، وميدان باب الرمل ، والقيصرية ، والمدرسة ، والخان ، والأبواب والأسوار ، وقصر شنيل .

راجع : رحلة ابن بطوطة لهذه المدينة ، ج 2 ص 1187 ، 68 — 27 ، وكذا :

Simonet, OP. Cit.

(186) الروامق : المحب .

(187) القال : الكاره .



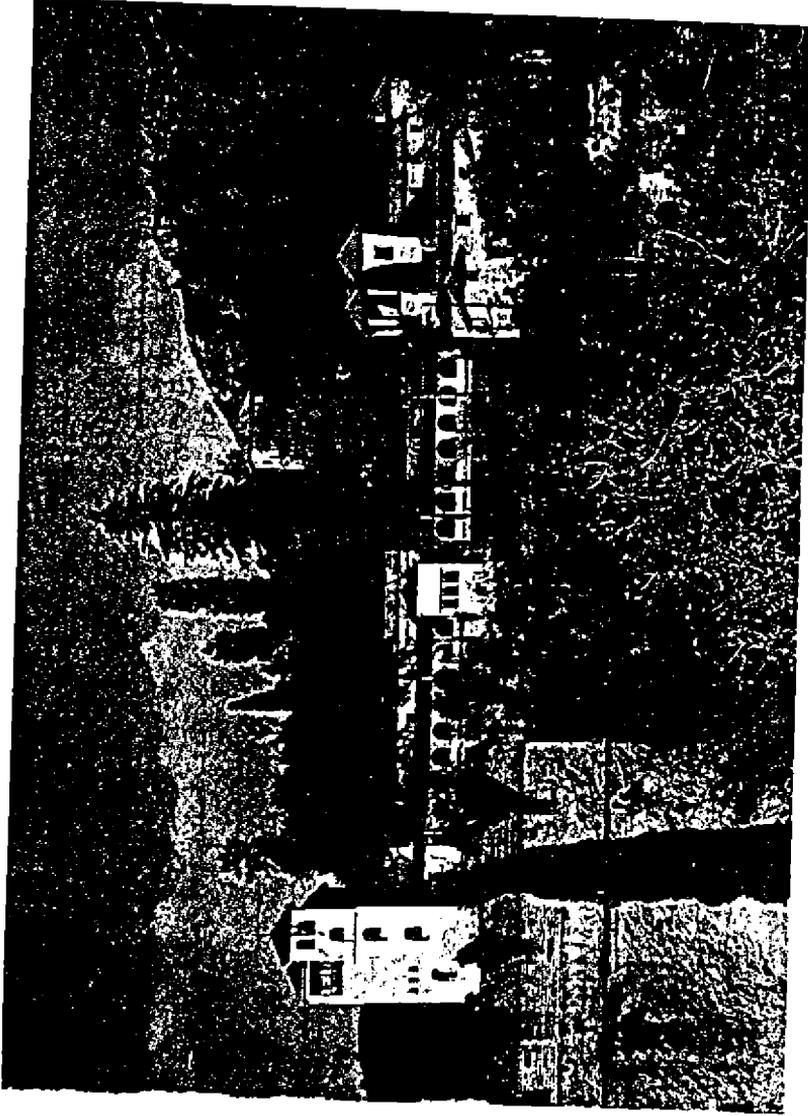
قناء الاسود (قصر الحمراء)

أرضها ريجانا ولا عصفا (188) ، ولا أخذت بأشتات المذاهب ، وأصناف المواهب جدا و (لا) قصفا . كرسيتها ظاهر الاشراف، مطل على الاطراف، وديوانها مكتوب بآيات الانفال والاعراف ، وهوؤها صاف ، وللانفاس مضاف . حجبت - الجنوب عنها - الجبال ، فأمن (189) الرباء والوبال ، وأصبح ساكنها غير مبال، وفي جنبه من النبال، وانفسحت للشمال (190) ، واستوفت الشروط على الكمال ، وانحدر منها مجاج الجليد على الرمال . وانبسط - بين يديها - المرج الذي نضرة النعيم لا تفارقه ، ومدارى النسيم تغلى بها مفارقه . ريع من واديه بثعبان مبين ، ان لدغ تلؤل شطه تلها للجبين ، وولدت حيات المذانب عن الشمال واليمين (191) ، وقلد منها اللبات سلوكا تأتي (192) من الحصباء بكل در ثمين ، وترك الارض مخضرة ، تغير من خضراء السماء ضرة ، والازهار مغترة ، والحياة الدنيا - بزخرفها - مغترة .

أى واد أفاض من عرفات
فوق حمرائها أتم أفاضة

(111 : أ) ثم لما استقر بالسهل يجرى
شقق منها بحلة ففاضة
كلما انساب كان غضبا صقلا
وإذا ما استدار كان مفاضة (193)

-
- 188 العصف : ورق الزرع .
189 فى نسخة (س) « فأمنت » .
190 الشمال : رياح الشمال .
191 فى نسخة (س) « وولد حيات المذانب تأتي من الشمال واليمين » .
192 فى نسختى (ر ، س) « تأثر » ، وهكذا أوردها سيمونيت ، والصواب فى نسختنا .
193 مفاضة : درع .



قصر جنة العريك من الخارج
(الحمراء)

فتعددت القرى والجنات ، وحفت — بالامهات منها — البنات ،
ورف النبات ، وتدبجت الجنبات ، وتقلدت اللبات ، وطابت بانواسم
المهبات ، ودارت بالاسوار دور السوار المنى والمستخلصات ، ونصبت
— لعرائس الروض — المنصات ، وقعد سلطان الربيع لعرض القصات ،
وخطب بلبل الدوح فوجب الانصات ، وتموجت الاعناب ، واستبحر — بكل
عذب الجنا — منها الجناب ، وزينت السماء الدنيا من الابراج العديدة
بأبراج ، ذات دقائق وأدراج ، وتنفست الرياح عن أراج ، أذكرت الجنة
كل امل ما عند الله وراج .

وتبرجت بحمرائها القصصور مبتسمة عن بيض
الشرفات ، ساغرة عن صفحات القبات المزخرفات . تقذف — بالانهار من
بعد المرتقى — فييوض بخورها الزرق ، وتناغى — أذكار المآذن
بأسمارها — نعمات الورق . وكم أطلعت من أقمار وأهلة ، وربت من
ملوك جلة ، الى بحر التمدن (194) المحيط الاستدارة ، الصادر عن الاحكام
والادارة ، ذى المحاسن غير المعارة ، المعجزة لسان (111 : ب) الكناية
والاستعارة ، حيث المساجد العتيقة القديمة ، والميازب الحافظة للرى
المديمة ، والجسور العريضة ، والعوائد المقدرة (تقدير الفريضة ،
والاسواق المرقومة الاطواق) (195) بنفائس الاذواق ، والوجوه الزهر ،
والبشرات الرقاق ، والزى الذى فاق زى الآفاق ، وملا قلوب المؤمنين
بالاشفاق :

بلد جليلها الله حسنا وسنى
وأجر السعد من حل لديها رسنا

(194) وردت هذه العبارة فى نسختى (ط ، ر) هكذا : « الى التمدين المحيسط
الاستدارة » كما أوردها بهذا سيهونيت ، ولعلها فى نسختنا أولى

(195) هذه الزيادة بين القوسين وجدتها فى نسختنا فقط .



بركة البيوتل
(الحمراء)

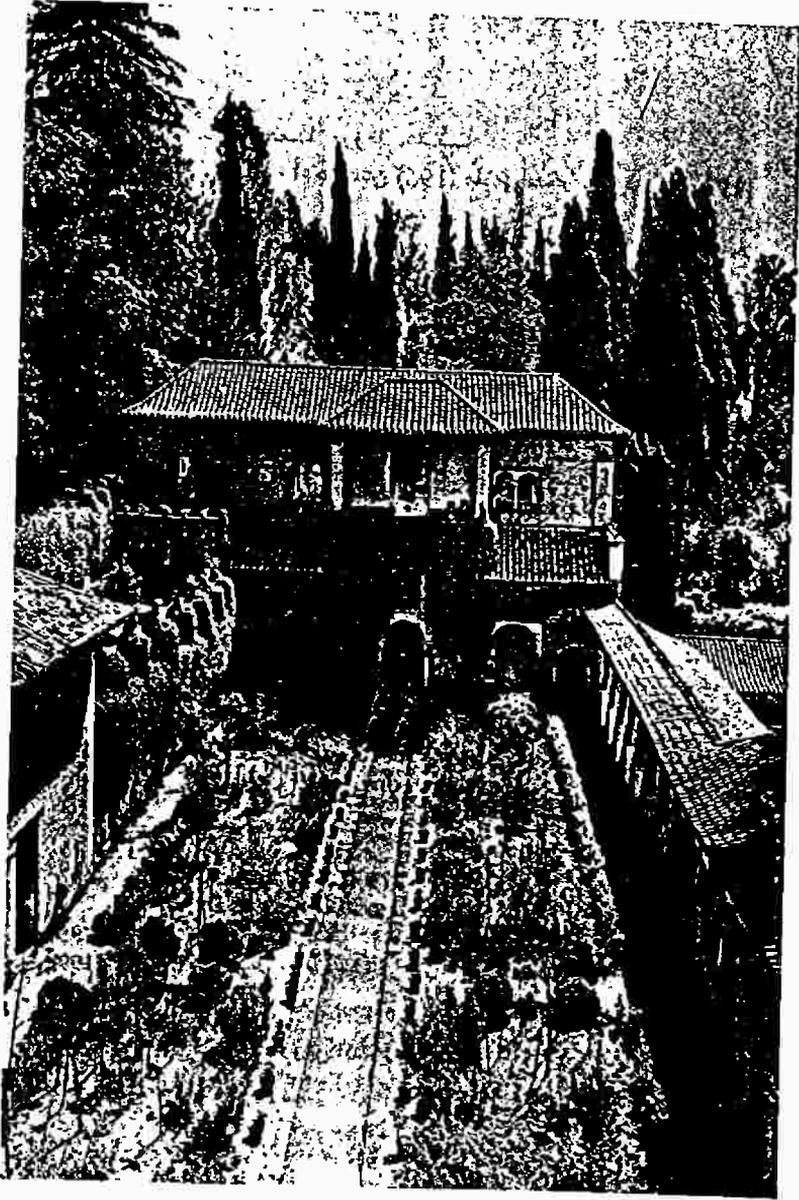
قد أجت سكرًا جما ورزقا حسنا
أعجزت عن (196) منتهى الفخر البعيد السنا (197)

يروقتك في أطرافها حسن الصور وجمالها ، وظرف (198) الصنائع
وكمالها ، والفعلية وأعمالها ، حتى الاطلال وانهما لها ، والسؤال
وأسمالها (199) :

كل عليه من المحاسن لمحة في كل طور للوجود تطورا
كالروض يعجب في ابتداء نباته واذا استجم به النبات ونورا
واذا الجمال المطلق استشهدته ألغيت ما انتحل الخيال وزورا

(112 : أ) ثم قال : أى أمن (200) عرى من مخافة ، وأى حصافة
لا تقابلها سخافة ، ولكل شيء آفة . لكنها - والله - بردها يطفىء حر
الحياة ، ويمنع الشفاه عن رد التحيات ، وأسعارها يشعر معيارها
بالترهات (201) ، وعدوها يعاطى كئوس الحرب فهاك (202) وهات .
الى السكك التى بان خمولها ، ولم يقبل الموضوع محمولها ، والكرب الذى
يجده الانسان فيها ، صادف اضافة أو ترفيها ، والمكوس التى تطرد البركة
وتتفيتها . الى سوء الجوار ، وجفاء الزوار ، ونزالة الديار ، وغلاء الخشب
والجيار ، وكساد المعاش عند الاضطرار ، واهانة المقابر وهى دار

-
- (196) فى نسخة (ر ، ي) « من » .
(197) فى نسخة (ط) « السعيد لسنا » ، ولكن هذا الشطر الاخير يناسبه ما ورد فى
نسختنا ، حيث يستقيم به المعنى .
(198) فى نسخة اخرى « وطرفا » .
(199) السؤال : ج سائل . والاسمال : البالى من الثياب ، وهى مبالغة تكاد تكون
غير معقولة .
(200) فى نسخة (س) « آمن » .
(201) الترهات : ج ترهة ، وهى الاباطيل .
(202) فى نسخة (ط) « بهاك » .



جفة العريف
(الحمراء)

القرار ، وقصر الاعمار ، واستحلال الغيبة في الاسمار ، واحتقار اولى
الفضل والوقار ، والتنافس في العقار ، والشح في الدرهم والدينار ، باليم
والنار (203) .

ثم قال : اللهم غفرا ، وان لم نقل كفرا ، « ان الله لا يغفر أن يشرك
به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (204) » . ولله در أبي العتاهية (205)
حين يقول :

أصبحت الدنيا - لنا فتنه والحمد لله على ذلكا
اجتمع الناس على ذمها وما نرى - منهم لها - تاركا

(203) في نسختي (س ، ر) « واليم » وهكذا أوردها « سيمونيت » ، ولعل الصواب
في نسختنا .

(204) آية : 48 من سورة النساء .

(205) أبو العتاهية : هو اسماعيل بن القاسم ، شاعر الزهد العربي في القرن الثاني
الهجري (الثامن الميلادي) ، من بلدة عين التمر بالانبار غرب الكوفة . وقد
وقد ولد حوالي عام 130 هـ (747 م) ، ومات حوالي عام . 210 هـ (825 م)
درس اللغة العربية والادب ، ثم اتصل بالمهدى والهادى والرشيدي والمامون ،
اشتهر شعره بالزهد في اواخر حياته ، وخاصة عندما بلغ الخمسين ، وكان
للرشيدي جارية تسمى « عتبة » عشقها أبو العتاهية في شبابه ، وتصيب بها
كثيرا ، وخاصة في بدء قصائده التي مدح بها الرشيدي ، وكان حائرا بين مذاهب
الشعر التي عاصرها ، ولكنه استقر أخيرا على شعر الزهد فأجاده .
راجع : مجلة الرسالة المصرية - العدد 3 عام 1953 م « شاعرنا
العالمى أبو العتاهية » - لعبد المتعال الصعيدي .
ثم « أبو العتاهية » لمحمد أحمد برانق - القاهرة 1947 م .

قلت : فالحممة ؟

قال : أجل ، الصيد (207) والحجل ، والصحة (208) وان كان
المعتبر (112 : ب) الاجل ، وتورد الخدود وان لم يطرقها الخجل .
والحصانة عند الهرب من الرهب ، والبر كأنه قطع الذهب . والحممة
التي حوضها يفهق (209) بالنعيم ، مبدولة للخامل والزعيم ، تمت ثنيتها
بالنسب الى ثنية النعيم . قد ملأها الله اعتدالا ، فلا تجد الخلق اعتياضا
عنها ولا استبدالا ، وأنبط صخرتها الصماء عذبا زلالا ، قد اعتزل الكدر
اعتزالا . لكن مزارعها لا ترويهما الجداول ، ولا ينجدها الا الجود
المزاول (210) ، فان أخصب العام أعيان (211) الطعام ، وان أخلف
الانعام ، هأكت الناس بها والانعام . والفواكه يطرف بها الجلب ، وتزر
عليها العلب ، وعصيرها لا يليق بالأكل ولا يصلح للحلب ، وبردها شديد
وان لم يقض به المنقلب .

206 الحممة : هي Alhama بلدة صغيرة تقع قرب مدينة بجانة من أعمال المرية ، وقد
اطلق عليها العرب هذا الاسم نسبة الى العين الحارة الموجودة بها ، والتي
هي مقصد كثير من ذوى العلل والاستقام .

كما يقصد السياح اليوم هذه المدينة للاستشفاء بعينها ، وما تزال بها
الحمامات العربية والعين حتى الآن .

راجع : الحميري في « الروض المعطار » ص 39 ، وابن بطوطة في رحلته
ج 2 ص 187 .

207 في نسخة أخرى « الصحة » .

208 في نسخة (س) « والصيد » ، وهو ما لا يتناسب والسياق بعد .

209 يفهق : يعمر .

210 الجود المزاول : المطر الغزير المعالج .

211 يحتمل معنى (أعيان الطعام) أعجز الناس عن حمله لكثرة ووفرة متى أخصب
المصام .

28 - « صالحمة » (212)

قلت : فصالحمة ؟

قال : لولا أنها مناخ لم تذكر ، فليس مما يذم ولا مما يشكر ، وان كان مأوها فضيا ، ووجه جوها وضيا ، وعصيرها مرضيا ، ورزقها أرضيا ، وفضلها ذاتيا لا عرضيا . فهي مهيب نسف ، ودار خسف ، وأهلها بهم ، ليس - لأحد منهم - فهم .

29 - « أليرة ومنتفريد » (213)

قلت : فأليرة ومنتفريد ؟

قال : بلد ارتفاع (214) ، باجماع واتفاق ، معدن البر الذكى ، والصيد الزكى ، وهد شاهق ، ومصرخ ناهق ، ومعدن بر فائق ، ان لم يعق - من عدو القلعة - (113 : أ) عائق .

30 - « لوشة » (215)

قلت : فلوشة ؟

قال مرأى بهيج ، ومنظر يروق ويهيج ، ونهر سيال ، وغصن مياد ، وجنات وعيون ، ولذات لا تمطل بها ديون ، وجداول تنضح بها الجوانح ،

212 صالحمة : مدينة زالت معالمها منذ أواسط القرن السادس عشر الميلادى ، يطلق عليها الكتاب الاسبان اسم Zalea موضعها قديما كان قرب الحمة .

213 اليرة Illora ومنتفريد Montefrio تقع المدينتان شمال مديننة لوشة . Loja.

214 ارتفاع : استقرار واعتماد .

215 راجع ما كتبه عن هذه المدينة بأول الكتاب ، عند التعريف بالمؤلف ، فهى مسقط رأسه .

ومحاسن يشغل بها عن وكره السائح ، ونعم يذكر - بها - المانع المانع . ما شئت من رجا يدور ، ونطف تشفى - بها - الصدور ، وصيد ووقود ، وأغراب كما زانت اللبات عقود ، وأرانب تحسبهم أيقاظا وهم رقود (217) . الى معدن الملح ، ومعصر الزيت ، والخضر المتكفلة بخصب البيت ، والمرافق التي لا تحصر الا بعد الكيت . والخارج الذي عضد مسحة الملاحه ، بجدوى الفلاحة . الا أن داخلها حرج الازقة ، وأحوال أهلها مائلة الى الرقة ، وأزقتها قذرة ، وأسباب التطوف (218) بها متعذرة ، ومنازلها - لنزائل الجند - نازلة ، وعيون العدو - لشغرها الشنيب (219) - مغازلة .

31 - « أرجذونة » (220)

قلت : فأرجذونة ؟

قال : شر دار وظلل لم يبق منه غير جدار ، ومصام يرجع البصر عنه وهو حاسر (221) ، وعورة ساكنها - لعدم الماء - مستاثرة (222) . وقومها ذو بطر وأشر ، وشيوخها - تيوس في مسالخ بشر ، طعام من

-
- 216 اقتباسا من قوله تعالى : « وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ، ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ، لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا » الكهف : 18 .
- 217 في نسخة (ط ، س) « ومعاصر » .
- 218 في نسخة (ط) « التصرف » .
- 219 الثغر الشنيب : ما كان أبيض الاسنان حسنها ، ويتصد صفحة المدينة الجميلة .
- 220 أرجذونة : هي حاليا Archidona بلدة متوسطة تتبع ولاية مالقة التي لا تبعد عنها كثيرا .
- 221 اقتباسا من قوله تعالى : « ثم أرجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » الملك : 4 .
- 222 مستأسر : قابض .

يقوت منهم أو يعول ، التيوس والوعول ، وحرثها مغل ، (113 : ب)
وخلقتها حسد وغل .

32 - « أنتقىرة » (223)

قلت : فانتقىرة ؟

قال : محل الحرث والانعام ، ومبذر الطعام ، والمرآة التى يتجلى بها
وجه العام ، الرحب والسهل ، والنبات والطفل ، والهشيم والكهل ، والوطن
والاهل . ساحت الجداول فى فحصها الافيج وسالت ، وانسابت حيات
المذانب (224) فى سقيها الرحب الجوانب وانسالت . لا تشكو من نبو
ساحة ، ولا تسفر الا عن ملاحه ، ولا تضاهى فى جدوى فلاحه ، وعظم
ملاحه . الا أنها جرداء الخارج ، بل ماردم ومارج (225) . وشدة فرجها
فارج . لا تضبطها المسلحة للانتساع ، والدرع الوساع ، قليلة الفواكه ،
عديمة الملاطف والمفاكه . أهلها أولو شرور وغرور ، وسلاح مشهور ،
وقاهر ومقهور ، لا تقبل غريبا ، ولا تعدم (226) من العدو تثريريا .

(223) أنتقىرة : هى حاليا Antequera احدى مدن الاندلس القديمة ، تبعد عن مالقة
بحوالى 60 كم ، وهى عبارة عن حصون بين مالقة وغرناطة . ينسب اليها :
الحكيم أبو بكر يحيى بن محمد بن يحيى الانصارى الانتقىرى .
راجع : معجم البلدان - للحموى - ج 3 ص 259 .

(224) المذانب : ج مذنب بوزن منبر ، وهو جدول الماء ذو المسيل الضيق .

(225) المارد : العاتى القاسى ، والمارج : الشعلة ذات اللهب الشديد .

(226) فى نسخة (س) « عن » بدل « من » .

33 - « ذكوان » (227)

قلت : فذكوان ؟

قال : روض وغدير ، وفواكه جلت عن التقدير ، وخورنق وسدير (228) ، ومائدة لا تفوتها فائدة . دارت على الطحن أحجارها ، والتفت أشجارها ، وطاب هواؤها ، وخفق بالمحاسن لوائها . إلا أنها ضالمة ساقطة ، وحبّة ترتقب لاقطة ، لا تدفع عن قرطها وسوارها بأسوارها ، ولا تمنع نزع صدارها بجدارها ، وقضت بعلّة (114 : أ) أعيانها حدائّة بنيانها .

34 - « قرطمة » (229)

قلت : فقرطمة ؟

قال : الكرك (230) ، الذي يؤمن عليه الدرك (231) ، وان عظم المعترك . جوها صاف ، في مثتى ومصطاف ، وتربها للبر مصاف ، وعصيرها

(227) ذكوان : عبارة عن حصن يسمى « Coin » موقعه غرب مالقة ، يرجع تأسيسه الى أيام عبد الرحمن الثالث الاموى ، اعظم واشهر ملوك بنى أمية (300 - 350 هـ = 912 - 961 م) ، ويروى ابن عذارى أن السبب في اقامته هو مواجهة حصون عمر بن حفصون وأولاده ، الذين اعلنوا عصيانهم لحكومة قرطبة .

راجع : ابن عذارى في « البيان المغرب » ج 2 ص 189 وكذا :

Simonet Op. cit. p. 81

(229) الخورنق والسدير : قصران ينسبان في التاريخ للنعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وتنسج حولهما طرائف .

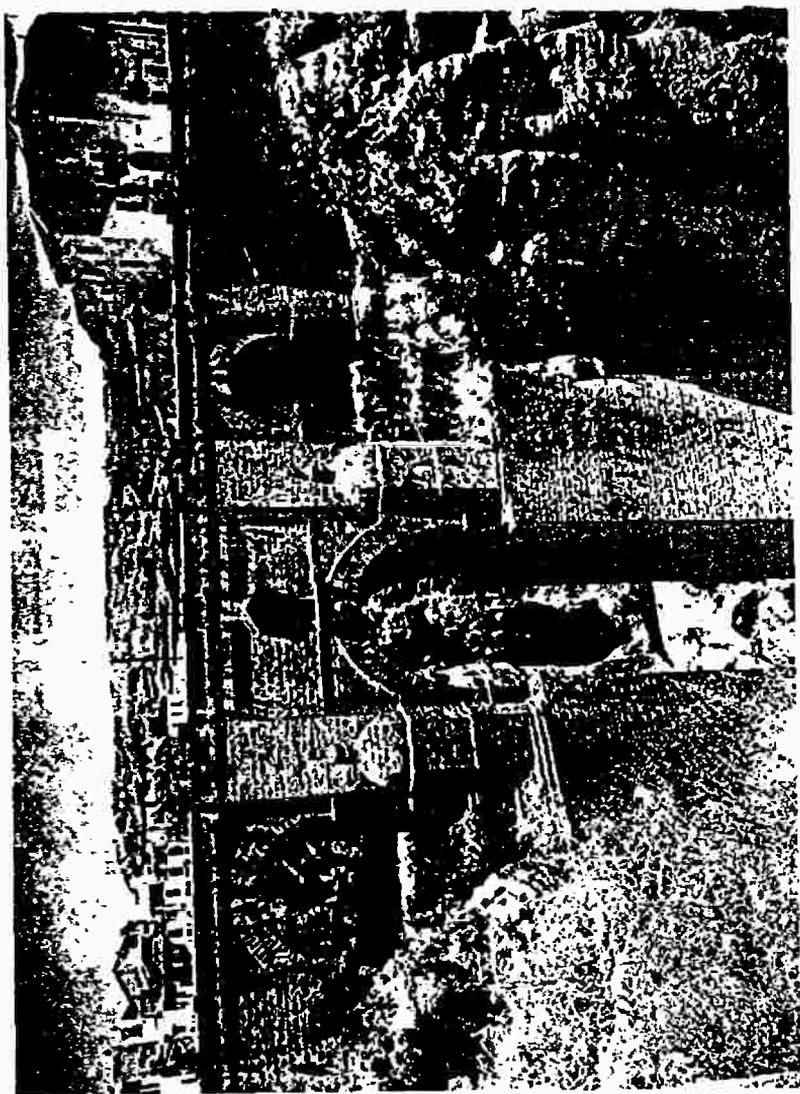
راجع : الحموى في معجم البلدان ج 3 ص 54 ، والافانى للاستهانسى ج 2 ص 144 .

(229) قرطمة : هي بالاسبانية « Cartama » ، احدى مدن الاندلس الصغيرة .

(230) الكرك : نوع من الطير .

(231) الدرك : الحراسة .

زينة



القنطرة المريية

بالكثرة ذو اتصاف . الا أن الماء بمعتلها مخزون ، وعتاد موزون ، وأهلها في الشدائد لا يجزون ، أيديهم — بالبخل — مغلولة ، وسيوف تشاجرهم مسلولة .

35 — « رندة » (232)

قلت : فرندة ؟

قال : أم جهات وحصون ، وشجرة ذات غصون ، وجناب خصيب ، وحمى مصون . بلد زرع وضرع ، وأصل وفرع ، مخازنها بالبر مالية ،

232 رندة : هي « Ronda » تقع غرب مالقة ، وقد كانت من أهم القواعد الاندلسية ، كما كانت من أهم مدن غرناطة ، وتعتبر الحصن الذي يحمى مالقة من ناحية الغرب ، ولذلك لما سقطت رندة في يد الاسبان في أبريل 1485 (جمادى الاولى 890 هـ) ، اضحى الطريق سهلا لاستيلاء القشتاليين على مالقة ، فقد سقطت بعد قليل في أيديهم في أغسطس 1487 م (شعبان 892 هـ) . وهي تشرف على منطقة عالية من الري ، ويشقها من وسطها وادى ليين Guadalebin وقد وصف ابن بطوطة مدينة رندة حينما زار الاندلس عام 1350 م بقوله : « وهي من امنع معاقل المسلمين واجملها وصفا » ، ويبلغ سكان رندة حاليا أكثر من 35.000 نسمة ، فهي مدينة متوسطة الحجم ، ويغلب عليها طابع القدم والبساطة ، وعليها المسحة الاندلسية . هذا ، وأهم المعالم والآثار الاندلسية الباقية بها اطلال القصب الشهبيرة ، والقنطرة العربية عند مدخل المدينة الغربي ، وهي ذات عقد واحد بالغ الارتفاع ، ثم الحمامات العربية ، وهي اطلال دارسة من حمامات أندلسية قديمة ، على مقربة من الكنيسة العظمى ، وكذلك من الآثار « المنارة » في نهاية المدينة ، ويبلغ طولها حوالي 12 مترا ، والظاهر أنها من أيام الموحدين لشبهها بمآذنها ، ثم قصر الأمير أبي مالك ، ويعرف في رندة باسم « Casa del Gigante » وهو اسم الاسرة التي تملكه ، ويقع القصر في طرف المدينة الجنوبي ، وكذلك باب المتابر Puerta de Almocabar ويقع في حي فرانسسكو . وينسب الى هذه المدينة الفقيه ابن عباد الرندي .

راجع ما كتبه ليفى بروفنسال عن هذه المدينة الاسلامية في

Enc. ISI, III, P. 1254 ومجلة الاندلس. 472 (1944) Al-Andalus

رندة



باب المقابر

وأقواتها جديدة وبالية ، ونعمها - بجوار الجبل - متوالية . وهي بلد أعيان وصدور (233) ، وشموس وبدور ، ودور أى ودور ، وماء وأديها يتوصل اليه فى جدور ، محكم مقدور . وفى أهلها فضاضة (234) وفضاضة (235) ، ما فى الكلف بها فضاضة (236) ، يلبس نساؤها الموق (237) ، على الاملد المرموق ، ويسفرن عن الخد المعشوق ، وينعشن قلب المشوق ، بالطيب المنشوق . الا أن العدو طوى ذيل بردها ، وغضب بنيانها ، وكيف السبيل الى ردها ، وأضاق خارجها ، وخفض معارجها ، وأعلى طائرها ودارجها (238) .

فلما بلغ هذا الحد قال : هل اكتفيت ؟ فقد شرحت صدرك (114 : ب)
 وشفيت ، وبما طلبت منى قد وفيت . يا بنى كائى بالصباح السافر ،
 وأدهم الظلام النافر ، قد أجفل أمام مقنبة (239) الوافر ، وترك من
 الهلال نعل الحافر . ونفسى مطيتى ، وقد بلغت الليلة طيتى (240) ،
 وأجزلت عطيتى ، فلنجم بالحمض (241) ، ونلم بالغمض ، وأنا بعد

233 فى نسخة (ط) « وجدور » ولعل الصواب فى نسختنا .

234 فضاضة : سعة الصدر .

235 فضاضة : حلم .

236 فضاضة : حط من القدر . وفى (س) ما فى الكلف بها « فضاضة » ، أى : ما فى الكلف بها شىء .

237 الموق : خف غليظ تلبسه النساء فوق خف أرق منه .

238 كناية عن أن العدو بغاراته يثير طيورها فتعلو فى الجو ، وفى الوقت نفسه يثير غبار طرقها .

239 المقنبة : الوعاء للساند يجعل فيه ما يصيده .

240 طيتى : حاجتى .

241 فلنجم بالحمض : الحمض هو الفاكهة ، والابل لها طعامها ولها حمضها ، ويقصد بالتعبير : المذاكرة .

نزليك ، ان سرنى جزيلك ، وعديك ان ضحك الى مندليك ، وسميرك ان
روانى نميرك . فبادرت البدره ففضضتها ، والصرة فافتضضتها ،
والعيبة (242) فنفضتها ، والمعادن فأنفضتها . فقال : بوركت من مواس ،
وانشد قول أبى نواس (243) :

ما من يد فى الناس واحده كيد أبى العباس (244) أولها
نام الثقات على مضاجعهم وسرى الى نفسى فأحيها

نم قال : نم فى أمان ، من خطوب الزمان ، وقم فى ضمان ، من
وقاية الرحمن . فلمرى وما عمرى على بهين ، ولا الحلف على بمتعين ،
لو كان الجود ثمرا لكنت لبابه ، أو عمرا لكنت شبابه ، أو منزلا لكنت
بابه .

فما هو الا أن كحلت جفنى بميل الرقاد ، وقدت طرفه سلس المقاد ،
وقام قيم الخان الى عادة الافتقاد ، وبادر سراجة بالايقاد ، ونظرت

(242) العيبة : الزنبيل .

(243) أبو نواس : هو الشاعر أبو الحسن بن هانئ الفارسي الاصل ، المولود عام
140 هـ (747 م) عاصر هارون الرشيد الخليفة العباسي ثم ابنه الامين ،
فكان شاعرها . اشتهر بنجونه وتهتكه ، وكثيرا ما حبسه لظهور ذلك فى
شعره ، توفى بعد مقتل الامين عام 199 هـ (813 م) ببغداد . ويعتبر أبو
نواس ممثل المدرسة الشعرية الحديثة ، وقد ظهر تجديده فى خمرياته
وغزله بالمذكر . فهو فى هذين المجالين خصب الفكرة ، واسع الخبرة ،
بحيث يستطيع ان يتغنى بمحاسنها فى صور متجددة .
راجع : ديوان أبى نواس « المتدبة » ج 1 ص 248 ، نشر وتحقيق ايلالد
فاغر (القاهرة عام 1958 م) .

(244) يعنى بأبى العباس الوزير « الفضل بن الربيع » المكنى بأبى العباس . وأبو
نواس بهذين البيتين يمدح أبا العباس هذا ، بعد ان تم اطلاقه من السجن على
يده . وقوله « وسرى الى نفسى .. » يعنى : سرى المدوح الى نفسه
فأحيها ، بعد أن انتذه من السجن .

(115 : أ) الى مضجع الشيخ ليس فيه الا زئبر أطماره (245) ، وروث حماره ، فخرجت لا يثاره ، مقتنيا لآثاره ، فكان الفلك لفه في مداره ، أو خسفت الارض به وبداره (246) ، وسرت وفي قلبي — لبينه وذهاب أثره وعينه — حرقة ، وقات متأسيا : لكل اجتماع من خليلين فرقة .



245 زئبر أطماره : اثر ثيابه البالية .
246 اقتباسا من قوله تعالى : « نخسفنا به وبداره الارض ، فما كان له من نشة
بنصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين » سورة القصص ، آية : 81 .